إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (٨٧)

إضاءات

من دعوات المرسلين

عليهم السلام

الجزء الأول الثالث

السيد أحمد الحسن

طبعة منقحة

الطبعة الرابعة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي :

www.almahdyoon.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إضاءات

من دعوات المرسلين

عليهم السلام

الجزء الأول

الإهداء

إلى من علموني كيف أقف مع الحق ولا أبالي ولا أستوحش من الوحدة

إلى من علموني زهادة الدنيا وخستها

إلى من لي الشرف وكل الشرف أن أتمرغ بالتراب الذي وطئته أقدامهم

إلى السادة الكرام أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

أحمد الحسن

٢٦ صفر ١٤٢٥هـ . ق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين.

إضاءات من دعوة نوح عليه السلام

١ نوح عليه السلام أول الأنبياء أولي العزم مبعثاً، ودعوته لقومه فيها شيء من اللين والموعظة الحسنة، والظاهر حتى الإنذار في دعوة نوح عليه السلام كان يصب في هذا القالب ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١] فلم يشتد معهم حتى في الإنذار، مع أنهم طغاة عتاة ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[٢].

وهذا قوله عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

وقال عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٤].

وقال عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[٥].

فالإنذار مرة يقرن بالرحمة ومرة بالخوف عليهم من العذاب، وهذا اللين من نوح عليه السلام إما للتقية وتجنب الاصطدام الشديد مع الكفار وما يجره من ضرر على المؤمنين، وإما طلباً لترقيق قلوبهم وتليين جانبهم، وفي النهاية طمعاً في إيمانهم وهذا الوجه الأخير أرجح من التقية، وذلك لأنه عندما علم من الله أنه لن يؤمن أحد من قومه غير الذي آمنوا، اشتد معهم وسخر منهم

---

(١) الشعراء: ١١٥.

(٢) الشعراء: ١١٦.

(٣) الأعراف: ٦٣.

(٤) هود: ٢٥ ٢٦.

(٥) هود: ٢٨.

وهددهم وتوعدهم بشدة وغلظة، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[١].

٢ الصبر والمطاولة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ... ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾[٢].

والصبر والمطاولة مطلوبان لمن رجا إيمان من يدعوهم، فكثير من الناس تدعوهم إلى الحق فلا يؤمن أول وهلة، بل يواجهك بشدة وغلظة، ولكن مع مرور الأيام يوفق للإيمان بالحق، وربما يصبح من دعاة الحق المخلصين.

٣ الالتجاء إلى الله والتوكل عليه سبحانه والاعتماد على تخطيطه وتدبيره سبحانه، بل وطلب النصر من الله بعد اليأس من إيمان من بقي على الكفر، ربَّ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[٣].

٤ الرحمة بالمؤمنين وخفض الجناح لهم، والإعراض عن ماضيهم قبل دخولهم في الدعوة مهما كان هذا الماضي، بل والدفاع عن هؤلاء الثلة والاعتزاز بهم، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤].

٥ العمل الدؤوب للنجاة من الفيضان، وذلك بصنع السفينة المباركة وتهيئة الطعام للناس والحيوانات وتهيئة العدة والعدد، وهذا أمر لا يتصور أنه يسير، بل على العكس هو أمر صعب، والذي يقوم به لابد أنه يواجه مشاكل كثيرة، خصوصاً إذا كان منبوذاً من قومه، وبالتالي لا يملك الكثير من الإمكانيات لأداء هذه المهمة الكبيرة، ومن هنا نتصور كم كان صبر نوح

---

(١) هود: ٣٦ ٣٩.

(٢) نوح: ٥ ٩.

(٣) القمر: ١٠.

(٤) الشعراء: ١١١ ١١٥.

عظيماً، وكم كان توكله واعتماده على الله الواحد القهار عظيماً، وكم كانت الرحمة الإلهية والفضل الإلهي الذين شملا نوحاً عظيمين، فكان عليه السلام يعمل بيد تكاد تكون خالية إلا من رحمة الله، وكان يعمل في مجتمع لا يعرف إلا الاستهزاء به والسخرية والتهكم.

٦ اليقين ولا أقصد اليقين بوجود الله سبحانه أو بنبوته عليه السلام، بل أقصد اليقين بالنصر على الظالمين والتسلط على رقابهم، وهذا اليقين جعل نوحاً عليه السلام قوي العزيمة، يبلغ رسالة السماء، ويصبر على الأذى، ولا يأبه باستهزاء القوم، بل هو يستهزئ بهم، حيث أنه واثق من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

الخلاصة:

الدعوة إلى الحق بلين ورحمة ورقة، ثم المبالغة في الرحمة لمن يؤمن بالحق، والصبر على من لم يؤمن في البداية لعله بعد ذلك يؤمن بالحق والعمل ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية، لإيصال الحق دون ملل وكلل ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[2]، وفي كل هذه الأحوال لابد من اليقين بالنصر الإلهي، والالتجاء إلى الله والتحصن به والتوكل عليه، توكلاً حقيقياً بمعنى أن يكون العبد مصداقاً للآية الكريمة (لا قوة إلا بالله).

إضاءات من محاججة نوح عليه السلام مع قومه

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ...﴾[3]. نوح عليه السلام كجميع الأنبياء، أرسلوا لإصلاح الفساد العقائدي والتشريعي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وحججهم بسيطة خالية من التعقيد، لا تحتاج إلى النظر الكثير والتحقيق الخطير ليتضح أنها

(١) الصافات: ١٧١ ١٧٣.

(٢) المدثر: ٦.

(٣) نوح: ١٥.

الحق المبين، ولكنها عندما تلقى على قوم لوثوا فطرة الله وصبغوا أنفسهم بغير صبغة الله، تصبح في غاية التعقيد والإبهام لأنها ألقيت على قوم لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها.

واعتراضات القوم:

١ أنت بشر مثلنا ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾.

٢ اتبعك البسطاء ضعيفو الرأي ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾.

٣ نظنك كاذباً أنت ومن معك ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[١].

وجميع هذه الاعتراضات بعيدة عن محور الرسالة والقضية المطروحة للمناقشة، فهذه مغالطات وسفسطة، بل هي اعتراضات واهية يقنعون بها أنفسهم المتكبرة، ويستخف بها العلماءُ المستضعفين في الأمور الدينية، وأتباعهم ومقلديهم، الذين يغلب عليهم الجهل والعمى، ﴿قال الملأ من قومه﴾ الملأ أصحاب السلطة الدينية والدنيوية، ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢]، ليس فقط ضلال، بل مبين واضح جلي بالنسبة لهم !!

لأن نوحاً جاء ليدعو الناس إلى عبادة الله والمساواة والعدالة والرحمة والتقوى، وهذه الأمور تعترض مسيرتهم الشيطانية في استخفاف الناس، وقيادتهم الدينية والدنيوية، وما تجلبه لهم هذه الرئاسات الباطلة من ترف وجاه وقدسية مزيفة.

ولهذا فلا داعي للنظر في ادعاء نوح عليه السلام، بل يكفي أن يقول الملأ (القيادة وخصوصاً الدينية): إن نوحاً في ضلال مبين جلي، ليقول جميع الناس الذين أنسوا التقليد والإتباع الأعمى: إن نوحاً في ضلال مبين، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾[٣].

---

(١) هود: ٢٧.

(٢) الأعراف: ٦٠.

(٣) الأعراف: ٦٤.

إضاءات من دعوة إبراهيم عليه السلام

١ المواجهة بشدة وقسوة لا لين فيها، فإبراهيم يواجه قومه فيقول: ﴿... مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ... وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[١]، هنا المواجهة تنتقل بسرعة عجيبة من الجدل والمحاججة اللسانية إلى الإنكار باليد واستخدام السلاح الفتاك في حينها الفأس ، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٢]، وجاءوا بإبراهيم المؤمن الوحيد بين جموع علماء ضلالة ومقلدين عميان وعبيد طاغوت، ولم يستسلم إبراهيم ولم يتخذ جانب اللين، بل واجههم بقسوة وشدة، سألوه: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[٣] فأجابهم بسخرية وتهكم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٤].

اسألوهم يا عميان، يا من لوثتم فطرتكم التي فطركم الله عليها، اسألوهم يا من صبغتم أنفسكم بصبغة غير صبغة الله، اسألوهم يا من حجبتم أنفسكم بعلوم مليئة بالجدل والسفسطة الشيطانية، وادعيتم أنها تمثل الدين، اسألوهم يا منكوسون؟! فلم يجدوا جواباً له إلا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾[٥]. فأجاب هذا النبي العظيم هذه الجماعة الملعونة المنكوسة بغلظة: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٦]. ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٧].

وفي النهاية لم يجدوا جواباً لإبراهيم عليه السلام، إلا النار التي استعرت في أجوافهم، ﴿قَالُوا

---

(١) الأنبياء: ٥٢ ٥٧.

(٢) الأنبياء: ٥٨.

(٣) الأنبياء: ٦٢.

(٤) الأنبياء: ٦٣.

(٥) الأنبياء: ٦٥.

(٦) الأنبياء: ٦٦ ٦٧.

(٧) الشعراء: ٧٥ ٧٧.

حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[١]، وهنا تمتد يد الرحمة الإلهية لتغشى هذا المؤمن الذي غضب لله، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ ... * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢].

٢ لا مطاولة في دعوة إبراهيم عليه السلام، بل هي مواجهة سريعة تتوالى فيها الأحداث بسرعة مذهلة.

٣ تحديد الهدف والضربة التي تقصم ظهر الباطل، والاصطدام مع الباطل بقسوة وسرعة دون حساب للقياسات المادية، وما لأهل الباطل من سلطة دنيوية ودينية تمكنهم من استخفاف الناس. عندما يكون العبد على يقين أن لا قوة إلا بالله يواجه الملايين وحيداً دونما اكتراث لعددهم وعدتهم، لأن عدده وعدته الواحد القهار سبحانه وتعالى.

الخلاصة:

أهم ما في دعوة إبراهيم عليه السلام، هي الشدة والمواجهة العلنية السريعة، وطبعاً هذه المواجهة كانت مسبوقة بمواجهة سرية، كان من نتائجها إيمان لوط عليه السلام بدعوة إبراهيم.

---

(١) الأنبياء: ٦٨.

(٢) الأنبياء: ٦٩ ٧٣.

إضاءة من دعوة إبراهيم ونوح عليهما السلام

لم يتحدث القرآن عن معجزة جاء بها نوح أو إبراهيم عليهما السلام لإثبات صدقهما، لأن المعجزة تأييد لدعوة الأنبياء، وليست إثباتاً لصحة الدعوة. فدعوتهم عليهما السلام للعودة إلى الفطرة، فطرة الله لا تحتاج إلى دليل، لأنها الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي الحق وعبادة الله وحده وتسبيحه وتقديسه والتحلي بالأخلاق الكريمة التي فطر الإنسان على حبها، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة. فالفراش ينقض على النور، ولكن عندما تخرب مجساته البصرية يركن إلى الظلام، وهكذا الإنسان، فالأنبياء والمرسلون يقومون بحجة الله البالغة، ويرفعون الحجب عن بصيرة الإنسان، ثم يتركونه يختار؛ إما أن يفتح عينيه ويتجه إلى النور، أو يغمض عينيه ويسدل على نفسه الحجاب ويتقوقع على نفسه في ظلمات بعضها فوق بعض، ﴿**جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**﴾[1].

وأعظم دليل على صدق الأنبياء هو سيرتهم المباركة وأخلاقهم الطيبة وكل إناء بالذي فيه ينضح.

ومع هذه السيرة الكريمة والمعجزات العظيمة التي جاء بها الأنبياء، لم يعجز أهل الباطل عن المعارضة بالمغالطة والسفسطة الشيطانية، وخصوصاً علماء الضلالة، بعد أن صبغوا الناس بصبغتهم، وهي تلك الصبغة الباطلة التي عارضوا بها صبغة الله سبحانه، وهكذا صنعوا لهم أرضية خصبة في المجتمع الإنساني، لتقبل منهم كل شيء، وتتابعهم في كل شيء، فزهد الأنبياء جنون، ومعجزاتهم سحر، وحكمتهم شعر.

---

(١) نوح: ٧.

إضاءات من دعوة موسى عليه السلام

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ها نحن ندخل مع موسى عليه السلام بعد أن آتاه الله الحكمة والعلم المدينة، عاصمة فرعون التي ملأها بالفساد والطغيان وقتل المؤمنين والاعتداء على الأعراض وتسخير المستضعفين لخدمة آلته الإجرامية الضخمة، وها هو موسى يقترب من رجلين أحدهما مؤمن إسرائيلي، والآخر رجس من جنود فرعون يريد تسخيره وإذلاله، والإسرائيلي يأبى الذل والمهانة التي ضاق بها ذرعاً معظم بني إسرائيل، ويبادر موسى عليه السلام فيقتل اللعين ويصفه من عمل الشيطان وصنيعته، وكما أن الشيطان عدو لله مضد لعباد الله، بيّن لكل صاحب فطرة سليمة،كذلك هذا اللعين الفرعوني، وتبدأ معركة موسى عليه السلام مع فرعون وحزبه الشيطاني اللعين، معركة غير متكافئة بالقياسات المادية.

فيخرج موسى عليه السلام من المدينة خائفاً يترقب، متوسلاً بالله أن ينجيه من القوم الظالمين، لا طلباً للحياة المادية التي هي سجن لأمثال موسى عليه السلام، بل ليتسنى له حمل راية (لا إله إلا الله).

وموسى هنا لم يحمل فأساً ليكسر صنماً يمثل عقائد القوم الضالين، بل حمل عليهم مباشرة وقتل أحدهم وحاول قتل الآخر، وهذه الخطوة أكثر تقدماً من سابقتها، وبعد غيبة عشر سنوات قضاها موسى عليه السلام في أحضان نبي عظيم هو شعيب عليه السلام ،عاد موسى عليه السلام إلى مصر وهذه المرة يحمل رسالة إلى الطاغية فرعون، رسالة حملها وهو في طريق العودة وحمل معها (لا قوة إلا بالله)، قال له جبار السماوات والأرض: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[2]، وسبحانه وتعالى أعلم بما في يمين موسى، عصا بحسب قياسات المحجوبين بالمادة، لا يمكن أن تكون سلاحاً يقاتل به موسى عليه السلام قوات فرعون المسلحة بأحدث أنواع الأسلحة في حينها، ولكن الله سبحانه وتعالى جعلها حية تسعى بقوته التي قامت بها السماوات والأرض، وجعل يد موسى بيضاء من غير سوء آية أخرى.

ومع أن هذه الآيات عظيمة، ولكن سلاح موسى لم يكن العصا أو اليد البيضاء المعجزة،

---

(١) القصص: ١٤.

(٢) طه: ١٧.

بل إن سلاح موسى القوي الذي لا يقهر هو: (لا قوة إلا بالله)، و لم تكن هذه الآيات بالنسبة لموسى إلا ليرى من آيات ربه الكبرى. ودخل موسى على الطاغية فرعون وهو يحمل في صدره ذلك المعنى العظيم: (لا قوة إلا بالله)، ذلك المعنى الذي صيَّر فرعون وهامان وجنودهما في عين موسى عليه السلام أخس من الذباب، بل لم يكونوا في الحقيقة شيئاً مذكوراً، وهتف موسى وهارون عليهما السلام في مجلس فرعون: ﴿جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[1]، وأخذ الطاغية يكابر ويجادل، من ربكما ؟ ... ما بال القرون الأولى؟ ... ثم أعرض اللعين: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوىً﴾[2].

وتكبر فرعون وجنوده وحق عليهم العذاب، فأُغرِقوا في بحر آثامهم ليكونوا عبرة لفراعنة هذا الزمان وجنودهم، فهل من معتبر قبل أن تحق الكلمة.

وأهم ما يلاحظ من دعوة موسى عليه السلام أمور منها:

١ بدأ موسى عليه السلام بقتل أحد زبانية فرعون، وهذا الموقف في غاية الشدة، فالقتل والقتال عادة يكون آخر وسيلة للدعوة ولنشر كلمة لا إله إلا الله، فما الذي جعله هنا أول خطوة ؟! والحقيقة هناك عدة أسباب، منها:

أ إن موسى كان في مواجهة طاغية متسلط على رقاب الناس، يقتل ويسلب وينهب ويستضعف أهل الأرض دونما رادع، فكان عمل موسى المبارك بقتل هذا الجندي الشيطاني، طعنة نجلاء لفرعون وحزبه وجنوده ورادعاً عظيماً لهم.

ب كان لهذا العمل أثر عظيم في تشجيع بني إسرائيل وتثويرهم على فرعون وجنوده وتهيئتهم للثورة المستقبلية التي قام بها موسى عليه السلام بعد عودته.

ج كان لهذه العملية أهمية في إظهار شخصية موسى عليه السلام كثائر على ظلم فرعون وجنوده، وتعريف بني إسرائيل أهمية هذا القائد العظيم الذي سيقوم بتخليصهم من فرعون

---

(١) ط ه: ٤٧ ٤٨.

(٢) ط ه: ٥٧ ٥٨.

وجنوده فيما بعد.

د كان لهذه العملية أهمية في دفع تهمة موالاة فرعون لعنه الله عن موسى عليه السلام والتي تلبس بها عليه السلام، لأنه كان ربيباً لفرعون ويعيش في قصره.

٢ بعد عودة موسى من مدين اتخذت الدعوة إلى الحق شكلاً آخر، هذه المرة باللين لعل فرعون أو أحد أعوانه أو جنوده يتذكر أو يخشى الله سبحانه، ويدين بدين يعقوب عليه السلام ويوسف عليه السلام الذي كان عزيزاً ووزيراً لملكهم السابق، وإلى هذه الفترة لم يأتِ موسى بالشريعة الناسخة لشريعة يعقوب عليه السلام وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام وهي الحنفية، مع أنها كانت محرفة ولا يعمل بها إلا بحسب أهواء وتخرصات علماء دين إسرائيل الشيطانية.

٣ كانت هناك عقوبات إلهية وآيات ربانية، رافقت دعوة موسى عليه السلام في مصر، لعل فرعون وجنوده أو المتكبرين من بني إسرائيل مثل قارون يؤمن، ومن هذه العقوبات هي إن ماءهم صار دماً، وامتلأت أرضهم بالضفادع، وكانوا يتوسلون بموسى عليه السلام ليدعو الله فيرفع عنهم العذاب، ومع ذلك لم يؤمن لموسى إلا ذرية من قومه، ويا للأسف ويا للحسرة على العباد.

٤ في نهاية الدعوة كانت هناك هجرة موسى عليه السلام والذين آمنوا معه، وخروجهم من مصر خائفين من فرعون وملئه وحزبه وجنوده أن يتسلطوا عليهم ويؤذوهم ويقتلوهم، فلما تراءت الفئتان ظهر هذا الخوف المستشري في جماعة بني إسرائيل المؤمنة إيماناً ضعيفاً متزلزلاً. فقالوا إنا لمدركون من فرعون وجنوده. ولكن موسى عليه السلام زجرهم ونبههم أنهم مهاجرون إلى الله الواحد القهار، قال: كلا إن معي ربي سيهدين، فنجا جماعة إسرائيل إكراماً لموسى عليه السلام، وألف عين لأجل عين تكرمُ، وأغرق فرعون وجنوده فبعداً لهم.

إضاءات من دعوة عيسى عليه السلام

الحقيقة أن دعوة عيسى عليه السلام هي من أعقد وأصعب أنواع الدعوة إلى الله سبحانه، وذلك لأنها كانت في مجتمع المفروض أنه مجتمع إيمان لم تتلوث عقائده بشرك وثني بيِّنٍ، كما أن عيسى عليه السلام كانت عليه مواجهة علماء وأحبار بني إسرائيل المتمرسين بالكلام والجدل في العقائد وغيرها من الأمور الدينية، ولهذا امتازت دعوة عيسى بأمور، منها:

١ الزهد في الدنيا:

وكان أبرز مصداق لهذا الزهد هو عيسى عليه السلام وحواريه الاثنا عشر، وكان هذا الزهد الذي بالغ عيسى عليه السلام في إظهاره إلى الناس، علاجاً لحالة الترف المستشرية في علماء بني إسرائيل، الذين أنسوا الحياة تحت سلطة الكفار الرومان، وأمسوا كالحيوانات في المعالف لا يهمهم إلا التقمم والاكتراش.

وبهذا أظهر عيسى عليه السلام وحواريوه لبني إسرائيل واليهود بل وللناس جميعاً ما يجب أن يكون عليه حال العالم الرباني العامل المخلص لله من الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، وخصوصاً في المجتمعات الإنسانية التي أنهكها التسلط الطاغوتي، ولم يبقَ فيها للفقراء رغيف يقتاتون به بكرامة، كما ولم يبقَ لهم منهج فكري سليم يستضيئون به، بعد أن أغرقهم في الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

ومن هنا كان زهد عيسى وحواريه فضيحة أخزت علماء بني إسرائيل وأظهرت للناس الصراط المستقيم والمنهج القويم، الذي يجب أن يسلكه العالم الرباني والقائد الإلهي، ليكون نوراً يستضيء به الناس ويقتدون به، ومخلصاً لهم من سلطة الطاغوت، وقائداً إلى الله الواحد القهار.

٢ الإخلاص في عبادة الله سبحانه:

اليهود لم يكونوا يعبدون الأصنام عندما بُعث عيسى، ولكنهم كانوا يدفعون الجزية لقيصر، وكانوا يتابعون علماءهم في كل ما يشرعون لهم، ويقلدونهم تقليداً أعمى، ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا**

هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وهذه الأعمال هي شرك بالله سبحانه وتعالى، فهم لم يكتفوا بترك الجهاد ورفض تواجد قوات الرومان الكافرة على الأرض المقدسة، أرض الموحدين، بل عملوا على تقوية دولة المحتل والطاغوت وتثبيت سلطانه بدفع الجزية لقيصر الروم، ليمسوا بهذا العمل عبدة طاغوت لا موحدين يعبدون الله، وإن ادعوا ذلك، ثم إنهم تابعوا علماءهم عندما خالفوا شريعة الأنبياء والأوصياء، وهذا العمل عبادة للعلماء الضالين من دون الله سبحانه، لأن العلماء الضالين يضعون رأيهم مقابل تشريع الله سبحانه، ويطالبون الناس باتباعهم، ويوهمون الناس أن طاعتهم هي طاعة الله، بينما في مثل هذه الحالة تكون طاعتهم طاعة للشيطان لعنه الله وأخزاه.

ولهذا انبرى عيسى عليه السلام يعلم الناس ويبين لهم هذه الحقائق الإلهية ويدعوهم للإخلاص في عبادة الله سبحانه وتعالى مرة، وللكفر بالطاغوت ومحاربته وهدم أركان دولته الاقتصادية والعسكرية والإعلامية مرة أخرى.

يدعو عيسى عليه السلام الناس للتمرد على علماء بني إسرائيل، الذين نصّبوا أنفسهم للتشريع مقابل الله سبحانه وتعالى، ودعوا الناس لطاعتهم واقتفاء آثارهم، فأضلوا الناس بعد أن كانوا هم أنفسهم ضالين، حيث جعلوا أنفسهم أرباباً تعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

٣ العدل والرحمة:

بدون عدل ورحمة تمسي الحياة مظلمة ليس فيها إلا الحيف والجور والقسوة والألم، والطاغوت بلا عدل ولا رحمة، فبالجور والغلظة والقسوة يبقى فرعون ونمرود وقيصر وأمثالهم على كرسي الحكم، ويسيطرون على دفة القيادة الشيطانية، ليقودوا أتباعهم ومن سار في ركبهم إلى هاوية جهنم، ومن يتوقع من طاغية شيئاً من الرحمة والعدل، يكون كمن يريد أن يشم من جيفة أو نجاسة ريحاً طيبة.

ولهذا كان السلاح القوي بيد الأنبياء عليهم السلام هو العدل والرحمة، وهكذا انطلق عيسى عليه السلام ينشر ويدعو للعدل والرحمة في المجتمع، العدل الذي ضيعه علماء بني إسرائيل، عندما استأثروا بأموال الصدقات وأخذوا يشرعون وفق أهوائهم وتخرصاتهم العقلية الخرقاء، والرحمة التي لم

---

(١) التوبة: ٣١.

يعرفها الناس في ظل الطاغوت.

وشملت رحمة عيسى عليه السلام حتى جباة الضرائب الذين يعملون لقيصر بشكل مباشر، فحاول استنقاذهم وتخليصهم من النهاية السوداء المظلمة التي تنتظرهم إذا استمروا يسيرون في ركـ ـب قيصر.

إضاءات من دعوة محمد ﷺ

دعوة محمد ﷺ دعوة شمولية عامة، فكأن فيها ما في دعوات جميع الأنبياء وزيادة، وهذا المعنى ورد في الحديث، فما في التوراة والإنجيل والزبور كله في القرآن، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ**﴾[1].

فنجد الرسول ﷺ وقف يقارع علماء ثلاث ديانات إلهية محرَّفة، هي الحنفية والمسيحية واليهودية، ومن الواضح أن الوقوف بوجه عالم إلهي منحرف سواء في العقيدة أو في التشريع وفق هواه، أصعب بكثير من الوقوف بوجه وثني أو ملحد لا يؤمن بوجود الله، وذلك لأن العالم الإلهي الضال يتأول كلام الله وفق هواه ويرسم العقائد الإلهية وفق هواه ويضع الحجج والمغالطات ليثبت أن باطله حق، فصاحب الفتنة مُلَقّى حجته، كما قال ﷺ: (**كل مفتتن ملقى حجته إلى انقضاء مدته، فإذا انقضت أحرقته فتنته في النار**)[2].

ومن هنا أقول: لو لم ينهض محمد ﷺ بالدعوة الإسلامية، لما استطاع نبي غيره النهوض بها، فتحمل بأبي وأمي ما لم يتحمله بشر غيره، وقام بالدعوة يقارع علماء الضلالة والطواغيت المتسلطين على الناس، مرة بعلمه الذي لم يتحمله غيره سوى علي عليه السلام بابه، كما وصفه هو: (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**)، ومرة أخرى يقارعهم بالقوة التي استمدها من توكله على الله الذي لم يعرف له مثيلاً، وقف في الطائف ممتلئاً بالألم على أحجار أدمت بدنه الشريف يناجي ربه بكلمات لا تزال ترتعش قلوب المؤمنين عند سماعها وتفيض أعينهم من الدمع: (**إلهي إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، إلى من تكلني يارب المستضعفين وأنت ربي، إلى عدو ملكته أمري، أم إلى بعيد فيتجهمني، إن لم تكن غضبت علي فلا أبالي ...**)[3].

محمد ﷺ لا يبالي عندما يغري هؤلاء السفهاء صبيانهم ليرموه بالحجارة وتسيل من بدنه

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج١٢ ص١٩٨ ح٨.

(٣) بحار الأنوار : ج١٩ ص٢٢.

الدماء ويهان في سبيل الله، ولا يبالي إن كذبه الناس، ولكنه يتألم عندما لا يؤمنون، لأنه يرى جهنم مستقرة في نهاية الطريق الذي يسلكونه.

وهكذا نهض محمد صلى الله عليه وآله مرة يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومرة يجادل بالتي هي أحسن، ومرة يقاتل الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم ثلاثة وعشرين سنة، لم يعرف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله راحة ولا هوادة .. مواعظ وجدال وقتال ودعوة إلى الله حتى النفس الأخير، وفي أخر أيامه يخرج متكئاً على علي عليه السلام والعباس عليه السلام، ليحث الناس على القتال والخروج مع أسامة بن زيد، وفي نفس الوقت طاعة لربه وعبادة بالغ فيها حتى خاطبه الجليل: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[1]. وكرم وزهد في الدنيا، حتى قال صلى الله عليه وآله للمسلمين: (**والذي نفسي بيده لو كان لي مثل شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً**) [2].

ولم يأخذ من أموال الغنائم على كثرتها إلا القليل والكفاف، حتى اشتكتا حفصة وعائشة لضيق المعيشة، فنزلت آيات الاستبدال المعروفة في القرآن، ويا ليت لنا اليوم مسلمين يقتدون ولو بمعشار سيرة محمد صلى الله عليه وآله، إذن لظهر الإسلام على الدين كله.

ودعوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله فيها كل ما في دعوات الأنبياء السابقين، فالدعوة بلين ورحمة، ثم الهجوم بشدة وقسوة، تكسير الأصنام، قتل أعداء الله، توعدهم بالأذى الدنيوي والأخروي. كان الرسول صلى الله عليه وآله في غاية اللين والرحمة والرقة مع المؤمنين، وفي غاية الشدة والغلظة والقسوة مع الكافرين، وهذا الميزان الحق الإلهي لا يمكن أن تحتمل تناقضاته الظاهرية إلا نفس عظيمة كنفس محمد صلى الله عليه وآله، نفس تحمل الجنة في يد والنار في اليد الأخرى، لتعرضها على الناس فتبشر المؤمنين وتنذر وتزجر وتهدد الكافرين، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً

---

(١) طه: ١ ـ ٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٧ ص٢٦ ح٢٧، مجمع الزوائد: ج٥ ص٣٣٩.

(٣) الإسراء: ١٠٥.

﴿حَسَناً﴾[١].

وأهم ما امتازت به دعوة الرسول صلى الله عليه وآله هي أنها خاتمة الرسالات الإلهية، وأن التبشير والإنذار والوعد والوعيد الذي جاء به المرسلون آن وقت تنفيذه، وأن المنفذ هو من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وهو الإمام المهدي عليه السلام.

وبالتالي فقد اقترب الوعد الحق الذي وعده الله سبحانه وتعالى لجميع الأنبياء والمرسلين، واقترب يوم الوعد المعلوم الذي وُعد به إبليس لعنه الله وأنه يوم نهايته.

قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٤].

وأخيراً أقول: إن في دعوات المرسلين الكثير الكثير الذي يستفاده منها المؤمن ليصبح ولياً من أولياء الإمام المهدي عليه السلام، ولا يمسي عدواً من أعدائه، وفي دعوات المرسلين حق لابد للمؤمن الذي يريد نصرة الإمام المهدي عليه السلام أن يخوض هيجاءه، فمن عناء وبلاء وجهد وجهاد وقتل وقتال وآلام ربما تتجاوز البدن إلى النفس والروح، إلى سخرية وتهكم واستهزاء، إلى الخذلان وقلة الناصر، آلام وآلام وآلام.

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٥].

---

(١) الكهف: ١ ٢.

(٢) النحل: ١.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) القمر: ١ ٢.

(٥) البقرة: ٢١٤.

إضاءات

من دعوات المرسلين

عليهم السلام

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك مجري الفلك مسخر الرياح فالق الإصباح، ديّان الدين رب العالمين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الأرض وعمّارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق.

إضاءة الرسول والعذاب

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[2].

سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

سنة الله سبحانه وتعالى في أهل القرى حال إرسال رسول لهم أن يأخذهم بالبأساء والضراء، وهذا البأس الذي عادة يكون بسبب تسلط طاغوتي على أهل الأرض، كما هو حال تسلط فرعون مصر على بني إسرائيل، وتسلط نمرود على قوم إبراهيم عليه السلام، والضرر

---

(١) الأعراف: ٩٤ ٩٥.

(٢) الأنعام: ٤٢ ٤٤.

الاقتصادي الذي يكون عبارة عن نقص في الأموال وقلة البركة في الحرث والنسل والتجـ ـارة، يكونان عادة سبباً أساسياً لحث الناس على التفكر في حالة الفساد التي يعيشـ ـونها، وبالتـ ـالي رجوع بعض منهم إلى الله والالتجاء إليه، وبهذا يتهيأ جماعة لاستقبال الرسول والإيمـ ـان بـ ـه، ولكن في خضم هذا الإرسال الإلهي تفتح الدنيا ذراعيها لأهلها ولتكون فتنة لهم تـ ـرديهم في الهاوية بعد تخلفهم عن الرسول الذي أرسل إليهم، وهؤلاء يجعلون الشبهات عاذراً لسقطاتهم، ويظنون أن أعذارهم الواهية التي تخلفوا بسببها عن نصرة الرسول أو حاربوه بها كافية ليعتذروا بها أمام الله يوم القيامة.

وعندما ينبههم المؤمنون إلى أن الحال مشابهة لحال الأمم التي عذبت سابقاً، يـ ـردون : إن آباءنا قد جرت عليهم هذه السنة ولم ينـ ـزل بهم عذاب ولا أرسل لهم رسول، فهذا الرجـ ـل كاذب أو ساحر أو كاهن أو شاعر أو متوهم أو أي عذر يعتذرون به ليجـ ـدوا لهـ ـم حجـ ـة يحتجون بها على فطرتهم إذا دعتهم إلى اليقظة، وعلى المؤمنين إذا جادلوهم، وهكذا وهـ ـم في خضم هذه الحالة الجديدة أي إقبال الدنيا عليهم، ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾، وفي قمـ ـة هذه المتعة وهم في حالة سكر من النعمة والنعيم يأتيهم عذاب بغتة وهم لا يشعرون، ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

وعندها لا ينفع الندم وترتفع الأصوات ربنا غلبت علينا شقوتنا ... ربنا أخرجنا منها ... فإنا ظالمون ... ربنا ... ربنا ... ويأتيهم الجواب: ﴿قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[2].

---

(١) الحجر: ٧٢.

(٢) المؤمنون: ١٠٨ ١١٠.

إضاءة من بين يدي العذاب

الرسول بين يدي العذاب الإلهي رحمة إلهية، فكيف تميز هذه الرحمة، كيف يعرف الرسول بين دعوات كثيرة باطلة، كيف يعرف الحق ؟!

كيف ميز المسلمون محمداً ﷺ واتبعوه دون مسيلمة أو سجاح أو الأسود العنسي وغيرهم من علماء النصارى أو علماء اليهود أو علماء الأحناف، هل كان هؤلاء سـ ـذجاً، ولم تكـ ـن لديهم الحجج والأعذار ليعتذروا بها عن إتباع الحق الذي مع محمد ﷺ ، وليحتجوا على الناس أن الحق مع دعواتهم الباطلة المحرفة ؟! ألم يكن النصارى يستندون إلى رسالة جاء بها نبي يعترف به محمد ﷺ وهو عيسى عليه السلام ؟! ألم يكن اليهود يدعون اتباع موسى، والأحنـ ـاف اتبـ ـاع إبراهيم ؟! ألم يقل أتباع علماء الأحناف واليهود والنصارى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[1]، ﴿**بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾[2] ؟!

ألم يقولوا عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة، بل لم يكونوا يرون على الشجرة شيئاً، فهم في ريبهم يترددون، وهل كان في أيديهم عصفور أم أنه مجرد وهم وخدعة خدعهم بها الشيطان ؟ ألم يواجهوا محمداً ﷺ بتلك الكلمات: مجنون، به جنة، ساحر، كاهن، كذاب، جاهل، وغيرها. كيف يستدل على أن الحق مع المرسلين ؟!

١. مجنون يتكلم الحكمة !!

٢. ممسوس بالجن يخرج الشياطين من الناس بكلمة من الله وتهرب منـ ـه الجـ ـن الكفـ ـرة والشياطين !!

٣. كاهن يقضي وقته في الصلاة والعبادة !!

٤. كذاب كان يعرف بالصادق الأمين !!

٥. جاهل يتحدى العلماء ويأتي بعلم يفوقهم ولا يجدون لرده إلا السفسـ ـطة والمغالطـ ـة

---

(١) الزخرف: ٢٣.

(٢) البقرة: ١٧٠.

والافتراء !!

أظن أن هذه التناقضات كافية لمعرفة أن الحق مع الرسول المتهم، ثم الجن هؤلاء المخلوقات الضعيفة المسكينة حتى أشرارهم مساكين أمام أشرار بني آدم، يصورهم علماء الضلالة الذين يحاربون الأنبياء، بأنهم مخلوقات مخيفة ولها قدرات عظيمة، فهم يعلمون أن الشياطين منهم لا يصمدون أمام آية من آيات الله أو كلمة من كلمات الله سبحانه ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَايسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[١].

ثم انهم يعلمون أنه صادق عابد ناسك، ويقولون تتنزل عليه الشياطين. فيرد عليهم الله سبحانه الذي خلق الجن والشياطين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٢].

ومع ذلك فإن أكثر الناس يتّبعون علماء الضلالة أعداء الأنبياء والمرسلين، فيغووهم ويضلونهم عن الحق الذي جاء به المرسلون، ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾، الشعراء: أي العلماء الضالون، هذا ما فسَّره أهل البيت عليهم السلام ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[٣]. (واد منخفض وسقوط في الهاوية والضلالة والانحراف عن الحق، وأنهم يقولون ما لا يفعلون).

دائماً تجد العالم غير العامل الضال يدعو الناس إلى الخير وترك الشر، ولكن لا تجده يعمل الخير، بل هو يأكل مال اليتيم والأرملة ويستغل الضعفاء ولا يجاهد في سبيل الله، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وفي النهاية إذا جاء العذاب تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا، ولكن هيهات لقد حقت الكلمة و ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾[٥].

---

(١) الشعراء: ٢١٠ ٢١٢.

(٢) الشعراء: ٢٢١ ٢٢٣.

(٣) الشعراء: ٢٢٥.

(٤) البقرة: ٩٦.

(٥) الفرقان: ٢٧ ٢٩.

ومن قبل ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[١]، و﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٢].

وينتهي الأمر بالعذاب ..

﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

العنكبوت: علماء الضلالة الخونة، ونسجهم مجادلتهم للمرسلين، وسفسطتهم واهنة ضعيفة، فهل من متذكر فيخلص نفسه من شباكهم الضعيفة، ويستفيق من لدغة العنكبوت، والمخدر الذي دفعته في جسمه، ويلتفت إلى الله فيتبع الحق ويعرض عن الباطل وأهله ويلتفت أن القوة بيد الله جميعاً.

---

(١) النمل: ٤٧.

(٢) النمل: ٥٦.

(٣) العنكبوت: ٤٠ ٤١.

إضاءة من كلمات المرسلين مع المعَذبين

تكذيب الرسالات الإلهية عادة اعتاد عليها بنو آدم، فلم يستقبل قوم رسولهم بالأحضان، بل هم على الدوام يستقبلونه بالاستهزاء والسخرية والتهكم، وأخيراً القتل والتهجير، ولا ليس هذا الأمر بالصدفة، أو أنه جاء من الفراغ، بل هو نتيجة حتمية للصدام الذي يحصل عادة بين المرسَل وقومه المنحرفين عن الصراط المستقيم، فهو يحاول الإصلاح ونشر القسط والعدل والرحمة، وأن يصبغ القوم بصبغة الله ويعيدهم إلى فطرة الله، وكبراء القوم من العلماء غير العاملين والمترفين يحاولون جاهدين الإبقاء على الباطل مستشرياً في المجتمع الذي يتبعهم، بعد أن أوهموه أنهم هم الحق، وأن صبغتهم هي الصبغة الصحيحة، لا أنهم عارضوا بها صبغة الله، وأن الفطرة الملوثة التي لوثوها بآرائهم الباطلة هي الفطرة الصحيحة.

وهكذا يهيئ العلماء غير العاملين في المجتمع الذي استخفوه قاعدة منكوسة ترى المقاييس مقلوبة والحق باطلاً والباطل حقاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً.

وفي ميدان المواجهة بين المرسلين وعلماء الضلالة غير العاملين والمترفين والمجتمع الذي استخفوه، ينبري كل مرسل لينذر قومه لعلهم يتذكرون، ويذكرهم بأيام الله لعلهم يتعظون، ويعظهم بالأمثال لعلهم ينتبهون ويستيقظون، وينبههم بالحكمة والآيات لعلهم يهتدون، وها نحن ندخل ميدان المواجهة بين نوح وقومه فها هم قوم نوح يبكتونه ويستهزئون به ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]، ثم يهددونه بالقتل ﴿**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ**﴾[2]، ماذا يفعل نوح لهؤلاء القوم المنكوسين الذين لا يجدون جواباً لكلماته المباركة وحكمته، إلا الاستهزاء والسخرية والتهكم ثم التهديد بالقتل، ومع ان فيهم علماء ولكن علماء غير عاملين علماء ضلالة، بدل أن يستعملوا العلم لمعرفة الحق، استعملوه للمجادلة والسفسطة وإضلال الناس وإبعادهم عن نوح ودعوته الحقة، ﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ**

---

(١) هود: ٣٢.

(٢) الشعراء: ١١٦.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، هذا بعد أن علم نوح من الله سبحانه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢]، لم تنفعهم كلمات نوح، كأنهم أموات لا يسمعون قوله لهم: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]، ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤]، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٥]، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٦].

وعجيب أمر الناس فإذا كان الملوك يخافون على ملكهم الدنيوي الباطل، وإذا كان العلماء غير العاملين يخافون على مناصبهم الدينية، فعلى ماذا يخاف الناس ؟ هل يعقل أن إنساناً يسلم قياده إلى علماء الضلالة كأنه دابة مربوطة يقودها صاحبها أينما يشاء ؟ هل يعقل أن الإنسان يرضى أن يكون تابعاً لأئمة الضلال حتى يردوه في الجحيم ؟ وهل يظن أنه إذا قال يوم القيامة أنا تابع مستضعف سينفعه هذا العذر ؟ في ذلك اليوم يتبرأ أئمة الضلال من أتباعهم، قال تعالى: ﴿قَالَ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾[٨].

ولكن هيهات بعد اللتيا والتي، فلا بد لهم أن يذوقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ثم جهنم وبئس الورد المورود يوم القيامة.

---

(١) الشعراء: ١١٧ ١١٨.

(٢) هود: ٣٦.

(٣) الأعراف: ٦١.

(٤) هود: ٢٥.

(٥) هود: ٢٦.

(٦) الأعراف: ٥٩.

(٧) إبراهيم: ٢١.

(٨) البقرة: ١٦٦ ١٦٧.

ويهدد نوح قومه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[١]، ولا ينفع الإنذار والتهديد ويبقى الظلم لخليفة الله في أرضه نوح، وتكذيبه إلى آخر لحظة، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٢]، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[٣]، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[٤].

وتكون النتيجة في هذه الحياة الدنيا العذاب، وهو بالنسبة لقوم نوح الغرق، لأنهم لوثوا كل شيء وأفسدوا كل شيء .. جاء الماء ليهلكهم وليطهر الأرض من آثامهم، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[٥]، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٦]، ووقف نوح كما وقف صالح وشعيب من بعده، متأوهاً على قومه متحسراً عليهم: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٧]، ﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٨].

---

(١) هود: ٣٩.

(٢) القمر: ٩.

(٣) الذاريات: ٤٦.

(٤) النجم: ٥٢.

(٥) يونس: ٧٣.

(٦) الشعراء: ٦٦.

(٧) الأعراف: ٧٩.

(٨) الأعراف: ٩٣.

إضاءة من المعجزة والعذاب

في الحلقة الأولى من الإضاءات قلت: إن الأنبياء يأتون ليرشدوا الناس إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم يتركونهم يختارون بين الحق الذي جاءوا به أو الباطل الذي عليه الناس وكبراؤهم من علماء الضلالة، وعادة بداية دعوة المرسلين تستند إلى شخصياتهم التي عرفهم بها قومهم واتصافهم بمكارم الأخلاق وصدق الحديث وأداء الأمانة، ولكن الناس وحتى القريبين من المرسلين ولأنهم نكسوا فطرتهم لا يستطيعون معرفة الحق الذي جاء به المرسلون، فتبدأ المسالة بطلب الدليل على الرسالة، فيأتي الرسول بالأدلة الكافية ليعلم الناس أنه صادق، ولكنهم يماطلون ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[1]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾[2]، ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[3]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[4].

ما هي الآية المطلوبة ؟! آية علمية، آية روحية ملكوتية، آية مادية !!!

الحقيقة، إن الناس يختلفون في الآية المطلوبة والدالة على صدق المرسل عندهم، فبعضهم يعتبر العلم والحكمة هو الآية، وبعضهم يعتبر الآيات الملكوتية التي يراها الإنسان بنفسه أو يراها عدد من الناس يمتنع تواطؤهم على الكذب هي الآية المطلوبة، ومن هذه الآيات الملكوتية الكشف في اليقظة والرؤيا الصادقة في المنام، أما ما تبقى من الناس فيعتبرون الآية المادية هي الدليل لا غيرها، وهؤلاء بالحقيقة منكوسون ماديون، وفي الغالب حتى لو جاءت الآية المادية لا يؤمنون إلا قليل منهم على شك وريبة في الغالب، وبين يديك رسالات الأنبياء.

وعلى كل حال، نتعرض هنا إلى هذه الآيات على التوالي:

---

(١) الأنعام: ٣٧.

(٢) البقرة: ١١٨.

(٣) يونس: ٢٠.

(٤) الرعد: ٧.

الآية العلمية: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[١].

ولعل أهم مائز لدعوات المرسلين هو العلم والحكمة وحسن التدبير، ولكن أكثر الناس لا يميزون بين الحكمة الإلهية التي ينطق بها المرسلون وبين السفسطة التي يعارضهم بها علماء الضلالة قطاع طريق الله سبحانه وتعالى، وعدم التمييز ليس بسبب صعوبة تمييز الحكمة كما يدعي أو يتوهم بعض الناس، بل إن أهم أسباب هذا الخلط هو أن الناس لوثوا فطرتهم وأصبحوا كالأعمى لا يميزون بين الخمر واللبن أو بين سفه الشيطان وحكمة الله سبحانه وتعالى، ويا للأسف فهذا حال معظم الناس في كل زمان.

وكمثال لتوضيح الحال التي وصل إليها المسلمون، إن محمداً ﷺ جاء بالقران كمعجزة، والمسلمون جميعاً على هذا القول، ولكن من الذي يميز أن القرآن آية معجزة ؟ فلو جاء اليوم محمد بن عبد الله ﷺ ونزل إلى الأرض ومعه سورة قرآنية جديدة، جاء بها من الله سبحانه وتعالى، فهل يستطيع المسلمون أن يميزوا هذه السورة ويقطعون أنها من الله سبحانه وتعالى ؟ وبالتالي يثبت عندهم أن هذا الشخص الذي جاء بها هو محمد ﷺ، أقول وبلا تردد إن معظم المسلمين غير قادرين على التمييز وسواء منهم العلماء أم الجهلاء، إلا إذا كان هناك مسلمون لم يلوثوا فطرتهم، يستطيعون أن يميزوا هذه السورة ويعرفون أنها آية من الله سبحانه، وبالتالي فإن الذي جاء بها ليس شخصاً اعتيادياً.

إذن، فالنتيجة المتحصلة أن محمداً بن عبد الله ﷺ لو جاء بالقرآن اليوم لكفر به معظم المسلمين و لم يؤمنوا به، ولقالوا ساحر وكذاب.

الآية الملكوتية:

هناك سؤالان مهمان يطرحان نفسيهما في هذا المقام:

١. ما هي الآية الملكوتية ؟

٢. على من تكون هذه الآيات الملكوتية حجة ؟

---

(١) الجمعة: ٢.

والجواب: إن الآيات الملكوتية كثيرة جداً منها الآفاقية الملكوتية ومنها الأنفسية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]، أي قيام القائم بالحق ومن هذه الآيات:

أ نور البصيرة واطمئنان القلب والسكينة، إذا كان الإنسان على فطرة الله التي فطر الناس عليها لم يلوثها أو أنه عاد إليها بعد تذكره وانتباهه من الغفلة.

ب الفراسة والتوسم في الآفاق والأنفس.

ت الرؤيا الصادقة في النوم.

ث الرؤيا الصادقة في اليقظة (الكشف) ومنها:

١) الرؤيا الصادقة في الصلاة .

٢) الرؤيا الصادقة في الركوع.

٣) الرؤيا الصادقة في السجود.

٤) الرؤيا الصادقة في السنة بين النوم واليقظة.

٥) الرؤيا الصادقة عند قراءة القران.

٦) الرؤيا الصادقة عند السير إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٧) الرؤيا الصادقة عند الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى.

٨) الرؤيا الصادقة في أضرحة الأئمة والأنبياء عليهم السلام والمساجد والحسينيات وغيرها كثير.

وكل هذه الأنواع من الكشف والرؤيا الصادقة هي آيات إلهية لأنها لا تكون إلا بـ أمر الله وبمشيئة الله سبحانه وتعالى، ويقوم بها ملائكة الله سبحانه وتعالى وعباده الصالحون، الـ ـذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. فهذه الآيات حجة بالغة لله سبحانه وتعالى على عبـ ـاده، لأنها كلماته التي يكلم بها الناس، فمن كذب بها فقد كذب الله سبحانه وتعالى، وهذا أعظـ ـم أنواع الكفر والتكذيب، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2].

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) فصلت: ٥٣.

أي الآفاق الملكوتية والملكية وفي النفس الإنسانية، ليتبين لهم أنه الحق، أي قيام القائم عليه السلام، كما جاء في الروايات عنهم عليهم السلام؛ لأن الناس يكذبون به ولا يصدقونه.

والله سبحانه وتعالى يعتبر أن معظم الناس غافلون ومعرضون عن الآيات النفسية والآفاقية، ولهذا يكون الكفر بالرسالات الإلهية نتيجة حتمية وحصيلة نهائية لا بد منها، ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[١]، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[٢]، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٣].

وفي النهاية يهدد الله سبحانه وتعالى هؤلاء القوم الذين لا يؤمنون بالآيات الأنفسية والآفاقية وخصوصاً علماء الضلالة الذين يسفسطون ويجادلون لإبطال حجية هذه الآيات الإلهية، ويتوعدهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٤]، ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٥]، ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[٦]، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[٧].

فهذه الآيات حجة دامغة سواء على أصحابها أم على الناس القريبين منهم والمعاشرين لهم، أو على الأقل فهي على غير أصحابها إن لم تكن حجة لكثرتها، فهي سبب يحفزهم بقوة للبحث في الدعوة الإلهية وتصديق الرسول الذي أرسل بها، ولكن مع الأسف معظم الناس سيبقون غافلين عن الآيات الملكوتية حتى تخرج دابة الأرض تختم جباههم بأنهم كافرون بآيات

---

(١) يونس: ٩٢.

(٢) يونس: ٧.

(٣) الحجر: ٨١.

(٤) الحج: ٥١.

(٥) سبأ: ٣٨.

(٦) يونس: ٢١.

(٧) سبأ: ٥.

الله، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[١].

الآية الجسمانية (المادية):

وهي آخر العلاج و آخر العلاج الكي، مع إن الكي للحيوان لا للإنسان.

وعادة تكون بطلب وإلحاح من الناس، بعد أن اعتذروا بأعذار واهية عن عدم التصديق بالمرسلين والأدلة الدامغة التي واجههم بها، والآيات الأنفسية والآفاقية العظيمة التي أظهرها الله سبحانه وتعالى في خلقه، لتصديق دعوة أوليائه ورسله الذين أرسلهم لإصلاح الفساد، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢].

وفي هذه المرحلة الأخيرة من الآيات، أي مرحلة الآية المادية، يكون العذاب مرافقاً للآية، قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]. فبمجرد التكذيب بهذه الآية واتخاذ موقف مضاد ينزل العذاب، ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[٤].

والحقيقة أن المتوقع هو الإعراض عن الآية المادية، كما حصل الإعراض عن الآيات الأنفسية والآفاقية الملكوتية، لأن المكذبين بملكوت السماوات وبغيب الله سبحانه وتعالى وبكلمات الله في الرؤيا الصادقة حتماً هم أناس منكوسون، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ

---

(١) النمل: ٨٢.

(٢) البقرة: ١١٨.

(٣) الأعراف: ٧٣.

(٤) هود: ٦٤.

لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١].

وهؤلاء حقت عليهم كلمة العذاب لأنهم كذبوا كلمات الله وردوا أيدي المرسلين إلى أفواههم ولم يستمعوا كلماتهم وحكمتهم، ﴿**وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾[٢]، فعند هؤلاء كل آية مؤولة جن .. سحر .. أو أي شيء آخر حتى يروا العذاب الأليم، ﴿**وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[٣]، ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾[٤].

وفي النهاية وعندما يقف المكذبون على حافة جهنم، يتذكرون كيف واجهوا المرسلين واتهموهم بأنهم سحرة، فيأتيهم النداء لينبههم إلى عاقبتهم المخزية: ﴿**أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ**﴾[٥].

---

(١) الأعراف: ١٤٦.

(٢) يونس: ٩٥ ٩٧.

(٣) الأعراف: ١٣٢.

(٤) القمر: ٢.

(٥) الطور: ١٥.

إضاءة من أسباب العذاب

العذاب الإلهي لأمة ما في زمن ما أمر عظيم لا يكون إلا بعد أن تذهب الأمة بـ الانحراف العقائدي والتشريعي بعيداً، وينكس معظم أبنائها ويمسون يرون المقاييس مقلوبة، (يرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً)، وبعد أن يرسل رسول يبين للناس الانحراف والباطل الذي تواضعوا على قبوله والعمل به، ثم يكذب أبناء الأمة الرسول ويعرضوا عنه لا مبالين أو مستهزئين. إذن فأسباب العذاب هي الانحراف والفساد، إضافة إلى رفض أي محاولة إصلاح لهـ ـذا الانحـ ـراف وتكذيب رسل الله سبحانه وتعالى.

والانحراف العقائدي أو التشريعي في أي أمة، لا يمكن أن يحصل إلا إذا تصدى له علمـ ـاء الدين في تلك الأمة، لأن عامة الناس لا يمكن أن يقوموا بحرف الشريعة وإقناع غيرهم بقبـ ـول هذا التحريف، ولما كان التحريف لا يتسنى لغير العلماء، فلا بد أن يكون المحرِّف منهم عادة، بل هو غالباً كبيرهم الذي إليه يرجعون، ثم يحافظ على هذا الانحراف جماعة من هؤلاء العلماء غير العاملين في الفترة التي تلي هذا التحريف. أما الفساد الأخلاقي فهو عادة يستشري بـ ـين الناس مع وجود الطاغوت المفسد، وخلو الساحة من العلماء الربانيين المخلصين أو قلتهم وقلة من ينصرهم، بل ووجود العلماء غير العاملين المنكبين على الشهوات والذين بسيرتهم المخزيـ ـة يحرفون الناس عن الصراط المستقيم، بل ويسببون نفور كثير من الناس من الدين، ورفضـ ـهم تعاليم الأنبياء والأوصياء، لأنهم يظنون أنها تعاليم هؤلاء العلماء الفاسدين، وهـ ـؤلاء الـ ـذين يَنْفرون من الدين، أهون بكثير من أولئك الذين يقلدون هؤلاء العلماء الفاسدين، ويتابعونهم في انحرافهم دونما محاولة نقد أو نظر في هذا الانحراف، بل دون أي محاولة اعتراف بهـ ـذا الواقـ ـع المخزي لهؤلاء العلماء الفاسدين، وان كان واقعهم بيناً جلياً لا يحتـ ـاج إلى البحـ ـث والنظـ ـر لمعرفته، وهؤلاء المقلدون عميان لا يرون إلا ما يرى علماؤهم غير العاملين الفاسدين، ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[1].

---

(١) لقمان: ٢١.

ومع هذا الواقع الجاهلي لا نحتاج إلى الكثير لنعرف النتيجة التي يقصها علينا القران، وهي تكذيب المصلحين المرسلين من الله سبحانه تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وتتوالى الرسالات ويتكرر موقف العلماء غير العاملين ومقلديهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً .....﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برسالته ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ علماء متكبرون يظنون أن كل من لا يواكب مسيرتهم في السفسطة الشيطانية سفيه ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً .....﴾[٣]، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٤]، ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٥].

حتى الطواغيت ربما ترق قلوبهم لحال يتيم جائع أو أرملة مكسورة الجناح، وهؤلاء الشاذون علماء الضلالة غير العاملين وأتباعهم أصحاب الجمعيات اللاخيرية وغيرهم لعنهم الله وأخزاهم وأظهر عارهم في هذه الحياة الدنيا وكللهم به على رؤوسهم العفنة يقومون باستغلال الأرملة والمساكين لتحصيل الأموال وجمعها ثم نهبها باسم هؤلاء المظلومين المستضعفين، وإذا أعطوهم منها فالقليل وبأساليب رخيصة، و والله إني لأستحي أن أصرح بها، وأعجب كيف يفعلها هؤلاء الأراذل قوم لوط في هذا الزمان، فأحدهم سوف الله وجهه في الدنيا والآخرة عمره ناهز الستين، تأتيه امرأة فيغلق عليها الباب ويدعوها إلى الفاحشة باسم المتعة، والآخر يتزوج فتاة في العشرين وعمره ناهز السبعين، وهؤلاء الشاذون عبيد الشهوات

---

(١) الأعراف: ٥٩ ٦١.

(٢) الأعراف: ٦٦ ٦٧.

(٣) الأعراف: ٧٣.

(٤) الأعراف: ٧٥ ٧٦.

(٥) الأعراف: ٨٠.

يركبون أحدث السيارات ويضعون الحرس، ولا أدري مما يخاف هؤلاء الجبناء علماء الضلالة الخونة، ويسكنون بيوتاً فارهة مؤثثة بأرقى أثاث.

هؤلاء هم أتباع معاوية (لعنه الله) وبقية آل أبي سفيان، ورسول الله منهم براء و إن ادعوا الانتساب إليه صلى الله عليه وآله، وجواب هؤلاء المنكوسين وجواب قوم لوط واحد لمن يدعوهم إلى الإصلاح وهو: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1]. ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾[2]، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[3]، يستعملون مع شعيب عليه السلام الإغراء بالمال والمداهنة والمدح الرخيص، بل والتذلل والظهور بصورة الحمل الوديع، ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، يؤكدون بقوة نحن على يقين من رشدك وحلمك وتصرفاتك، ولكن بعد لحظات لما لم ينفع المدح الرخيص والإغراء مع شعيب عليه السلام، ابتدأت مرحلة جديدة ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الملأ علماء السوء أعداء الأنبياء على الدوام ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[4].

إضاءة من مقدمات العذاب

إذا تمت أسباب العذاب، وكذب الرسول واستهزأ به القوم وخصوصاً علماء السوء ومقلديهم العميان، بدأت مرحلة جديدة وهي مقدمات العذاب، وهي كمقدمات العاصفة الهوجاء التي تبدأ بنسيم طيب يركن إليه الجاهل ويظن انه سيدوم، ولكن بعد لحظات تصل

(١) الأعراف: ٨٢.

(٢) الأعراف: ٨٥.

(٣) هود: ٨٧.

(٤) الأعراف: ٨٨.

الريح العاصف التي تدمر كل شيء بإذن ربها، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[١].

بداية العذاب بإقبال الدنيا على أهلها الذين كذبوا الرسل، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ وذلك لسببين:

الأول هو إغراقهم في الشهوات والملذات وزخرف الدنيا بعد أن ركنوا إليه، وأمسى هو مبلغهم من العلم لا يعدونه إلى سواه، وليزدادوا غفلة إلى غفلتهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٢].

والثاني ليعظم عذابهم النفسي، لّما ينزل بهم العذاب الإلهي الدنيوي، وذلك عندما يفارقون الدنيا التي أقبلت عليهم واستقبلوها بالأحضان، ﴿فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾، دونما تفكر أو تدبر لحالهم المخزي، وهم يرزحون تحت ظل طاغوت محتل متسلط، وكأنهم لم يسمعوا الحديث القدسي: (**يا ابن عمران، إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته**)[٣]، وهكذا الغافلون دائماً يظنون أن الدنيا التي أقبلت عليهم مكافأة لهم، والنعمة والنعيم ثمناً لأتعابهم، وهي في الحقيقة النسيم الذي يسبق العاصفة !! وهي في الحقيقة ذنب عجلت عقوبته!!

أحمد الحسن

٢٦ صفر ١٤٢٥ هـ.ق

النجف الأشرف

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) الأعراف: ١٨٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص٢٦٣ ح١٢.

إضاءات

من دعوات المرسلين

عليهم السلام

الجزء الثالث القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين.

إضاءات من مسيرة يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام نبي مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم، وقد أقر رسالته وآمن به بعض أهل مصر، ومنهم بعض أفراد العائلة الحاكمة، وهذا مؤمن آل فرعون يُذكِّر فرعون مصر وملأه في زمن رسالة موسى عليه السلام بيوسف عليه السلام ورسالته ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**﴾[1].

وها هو يوسف عليه السلام يصدع بدعوته في أصعب الظروف وهو في السجن: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[2]، بل ويتعرض لدين الملك بشدة دون أن يكون للسجن وإحاطة زبانية فرعون به أي تأثير يجعل يوسف عليه السلام على الأقل ليّناً أو مداهناً في تحطيم الأصنام البشرية التي ألهها المصريون، بل ها هو يحمل فأسه ويحطم الأصنام البشرية كما حطم جده إبراهيم عليه السلام أصنام الحجارة ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[3].

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى لم يتعرض في القرآن لدعوة يوسف عليه السلام كنبي مرسل داع إلى التوحيد ويطلب من قومه الإيمان به، كما تعرض لباقي دعوات الأنبياء، بل إن هذه الجهة

---

(١) غافر: ٣٤.

(٢) يوسف: ٣٩.

(٣) يوسف: ٤٠.

تكاد تكون غير ملحوظة في سرد مسيرة يوسف عليه السلام إلا بقدر قليل يبين رسالة يوسف عليه السلام من الله وأنها رسالة إبراهيمية، فلا نجد في القرآن كيف أن يوسف عليه السلام دعا قومه، وكيف جادلهم، وماذا ردوا عليه وما هو حال المؤمنين بيوسف عليه السلام، وما هو ... وما هو ... أسئلة كثيرة ربما تجد أجوبتها في القرآن إذا كان الأمر يتعلق بالأنبياء المذكورين في القرآن غير يوسف عليه السلام، ومع إن سورة طويلة في القرآن اختصت في سرد مسيرة النبي المرسل يوسف عليه السلام.

فلماذا ترك القرآن التعرض لتفاصيل رسالة يوسف عليه السلام كما تعرض لتفاصيل رسالات الأنبياء عليهم السلام ؟

والجواب: إن سرد القصص في القرآن يراد منه أن يتعظ الناس ولا يعيدوا الكرة مرة بعد أخرى، فموسى عليه السلام تذكر قصته في القرآن أكثر من مرة، وكل مرة يراد منها إعطاء صورة للقارئ تختلف عن سابقتها، وبهذا تكتمل عنده الصورة، بل ويصبح يعرف موسى عليه السلام إذا رآه من الأمام أو الجانب أو الخلف، والهدف القرآني ليس موسى بن عمران عليه السلام بعينه، بل الذي يأتي ويمثل موسى عليه السلام، وفي قصة يوسف عليه السلام فإن الهدف هو النبوة، بل بالخصوص الرؤيا، وكونها طريقاً لوحي الله سبحانه وتعالى، فالمراد لفت الانتباه إلى علاقة الرؤيا بيوسف الآتي، يوسف آل محمد (المهدي)، بل وان الملأ (العلماء غير العاملين) سيقولون عنها أَضْغَاثُ أَحْلامٍ، كما أن ملأ فرعون ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعَالِمِينَ**﴾[1].

وهذه الإضاءات ﴿**...آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[2]:

---

(١) يوسف: ٤٤.

(٢) القمر: ١٥.

إضاءة من رؤيا يوسف عليه السلام

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1].

الأحد عشر كوكباً إخوة يوسف عليه السلام، والشمس والقمر يعقوب وأم يوسف راحيل. رآهم يوسف في الرؤيا ساجدين له، فما هو هذا السجود، وكيف وقع، وهل يصح السجود لغير الله، وإذا كان لا يصح فما معنى سجودنا للكعبة وهي حجارة، وما معنى سجود الملائكة لآدم وهو إنسان مخلوق، وما معنى سجود إخوة يوسف ويعقوب وهو نبي، وأم يوسف ليوسف عليه السلام ؟!

المرتكز في الأذهان عن السجود هو وضع الجبهة على الأرض، أو الانحناء ووضعها على شيء منخفض عنها، والمراد منه هو بيان الخضوع والتذلل والطاعة للمسجود له، وربما كان السجود بالإيماء له بالرأس أو حتى برموش العين، كما هو حال العاجز عنه بالصلاة.

والحقيقة، أن الإنسان الخاضع الذليل لله والمطيع لأمر الله ساجد في كل أحواله، نائماً وقائماً وقاعداً وماشياً. والإنسان الذي لا يخضع لله ولا يتذلل لله ولا يطيع أمر الله، ليس بساجد وإن وضع جبهته على الأرض. فالسجود الحقيقي إذن هو الطاعة وامتثال الأمر الإلهي، وربما تم دون وضع الجبهة على الأرض، وربما لا يتم بوضع الجبهة على الأرض.

فإبليس لم يرفض السجود لله، (**بل له سجدة ستة آلاف عام**)[2]، ولكنه رفض أن تكون قبلته في السجود لله آدم عليه السلام، فهو في حقيقة أمره متكبر على الله وليس بخاضع ولا متذلل ولا مطيع لأمر الله. وهو من الساجدين لله الذين حق عليهم العذاب؛ لأنه لم يتخذ القبلة التي أمره

---

(١) يوسف: ٤.

(٢) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: (... **فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذا أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصية ؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد. وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين**) نهج البلاغة: ج٢، خطب الإمام علي عليه السلام، ص١٣٨.

الله أن يتخذها، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

فهؤلاء الذين حق عليهم العذاب يوصفون بأنهم يسجدون لله، ولكنه ليس سجوداً حقيقياً، لأنهم لم يطيعوا الله في السجود له سبحانه من حيث يريد وإلى القبلة التي أمرهم بها.

وباختصار، فإن المطيع لأمر أحد طاعة مطلقة فهو عبد ساجد لهذا المطاع، ولذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٢]، أي عبدوا علماءهم غير العاملين؛ لأنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

وعن أبي بصير، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾، فقال: **أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون**) [٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (**من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده**) [٤].

فمن يعصِ الله فهو ليس عابداً ولا ساجداً لله بقدر تلك المعصية، فإذا كانت المعصية متعلقة بالقبلة التي يتوجه إليها حال سجوده وطاعته (أي أنه اتخذ قبلة غير القبلة التي أمره الله بها)، فإنه في كل عمله عاصٍ وليس عابداً ولا ساجداً لله، (ولا تزيده سرعة السير إلا بعداً) [٥]، قال

---

(١) الحج: ١٨.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٩٨ ح٧.

(٤) الكافي: ج٢ ص٣٩٨ ح٨.

(٥) عن طلحة بن زيد، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً**) الكافي: ج١ ص٤٣ ح١.

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[١].

فهكذا إنسان تولى الشر والشيطان والظلمة، ليس على جادة الطريق التي توصل إلى الهدف، بل مستدبراً القبلة التي توصله إلى الله فتكون سرعة سيره (سجوده وعبادته وطاعته المدعاة) سبباً في إيصاله إلى هاوية الجحيم لأن كل أعماله (سجوده، عبادته، طاعته) يستقبل بها قبلة لم يأمره الله بها، بل نهاه الله عن استقبالها فيكون سجوده، عبادته طاعته، كلها مبنية على المعصية والذنب فتكون معاصياً وذنوباً.

فلا صام ولا صلى، بل أذنب وعصى ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٢]، أي إن الأولى هو التصديق بولي الله وحجته وخليفته سبحانه (الرسول سواء كان نبياً أو وصياً)، والصلاة معه، وهي الولاية لولي الله؛ لأنها ولاية الله والسجود لولي الله، أي طاعته؛ لأنه سجود لله وطاعة لله، ودون الخضوع لولي الله لا تنفع الأعمال الظاهرية.

عَنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (نَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ عليه السلام: **هَكَذَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَا ثُمَّ يَنْفِرُوا إِلَيْنَا فَيُعْلِمُونَا وَلَايَتَهُمْ وَمَوَدَّتَهُمْ وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نُصْرَتَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾**[٣])[٤]، ولم ينفع كفار قريش (الأحناف المنحرفين) حجهم بيت الله، ومع أنهم كانوا يلبون[٥]، فإن تلبيتهم عند الله لم تعدُ التصفيق والتصفير، لأنها هكذا كانت تسمعها الملائكة

---

(١) النساء: ١١٥.

(٢) القيامة: ١٣ ـ ٣٥.

(٣) إبراهيم: ٣٧.

(٤) الكافي: ج١ ص٣٩٢ ح١.

(٥) في الجاهلية وقبل الإسلام كانت تلبية قريش: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، تملكه وما ملك). وكانت تلبية كنانة: (لبيك اللهم لبيك، اليوم يوم التعريف، يوم الدعاء والوقوف). وكانت تلبية بني أسد: (لبيك اللهم لبيك، يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك). وكانت تلبية بني تميم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها، وأخلصت لربها دعاءها). وكانت تلبية قيس عيلان: (لبيك اللهم لبيك، لبيك أنت

وهكذا ترفع ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[١].

وكذلك من يصلي و لم يتخذ القبلة التي أمره الله بها، فلا تعدو صلاته التصفيق والتصفير، وحجه كذلك عند الله.

فإذا علمنا أن الله لم ينظر إلى الأجسام منذ خلقها [٢]، فلا يكون سجود الأجسام إلا مرشداً ودليلاً يدل على الحقيقة ويشير إليها، وهذه الحقيقة هي الطاعة وامتثال الأمر الصادر من الله سبحانه وتعالى، فإذا كان لسجود الأجسام قبلة وهي الكعبة، فلا بد أن يكون لسجود الأرواح قبلة، وقبلة الأرواح هو ولي الله (حجة الله على خلقه) فبطاعته يطاع الله وبمعصيته يعصى الله، ولذلك كان الأمر للملائكة (الأرواح) هو السجود لآدم (الإنسان الكامل).

والإسلام والسجود واحد، فالإسلام هو التسليم، والتسليم هو الطاعة المطلقة، فالمسلم هو المسَّلِم لله سبحانه وتعالى، وهذا التسليم (السجود) لابد له من قبلة فقبلته هو ولي الله (حجته على خلقه)، فليس بمسلم حقيقي من أعرض عن قبلة التسليم التي فرضها الله وهي (حجة الله) المتمثلة بخليفة الله في أرضه.

روى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (**أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل وأنتم الزكاة وأنتم الحج ؟**

الرحمن، أتتك قيس عيلان راجلها والركبان). وكانت تلبية ثقيف: (لبيك اللهم، إن ثقيفاً قد أتوك واخلفوا المال، وقد رجوك). وكانت تلبية هذيل: (لبيك عن هذيل قد ادلجوا بليل في ابل وخيل). وكانت تلبية ربيعة: (لبيك ربنا لبيك لبيك، إن قصدنا إليك)، وبعضهم يقول: (لبيك عن ربيعة، سامعة لربها مطيعة). وكانت حمير وهمدان يقولون: (لبيك عن حمير وهمدان، والحليفين من حاشد وألهان). وكانت تلبية الأزد: (لبيك رب الأرباب، تعلم فصل الخطاب، لملك كل مثاب). وكانت تلبية مذحج: (لبيك رب الشعرى، ورب اللات والعزى). وكانت تلبية كندة وحضرموت: (لبيك لا شريك لك، تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه). وكانت تلبية غسان: (لبيك رب غسان راجلها والفرسان). وكانت تلبية بجيلة: (لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة). وكانت تلبية قضاعة: (لبيك عن قضاعة، لربها دفاعة، سمعاً له وطاعة). وكانت تلبية جذام: (لبيك عن جذام ذي النهى والأحلام) تاريخ اليعقوبي: ج١ ص ٢٥٥.

(١) الأنفال:٣٥.

(٢) في تفسير الفاتحة للملا صدرا: قال الرسول صلى الله عليه وآله : (**إن الله لم ينظر إلى الأجسام منذ خلقها**).

فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ونحن الآيات ونحن البينات، وعدونا في كتاب الله عز وجل: الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه، وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين) [1].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وليس لله وجه كالوجوه، ومن اعتقد هذا فهو مجسم كافر ككفر كفار قريش بل أشد كفراً.

فالوجه هو ما يواجه به، ووجه الحقيقة والكنه سبحانه وتعالى (هو) الذي واجه به محمداً صلى الله عليه وآله هو الذات المقدسة (الله) سبحانه وتعالى، أما وجه الذات المقدسة أو (الله) الذي واجه به خلقه فهم حجج الله عليهم السلام، فهم وجه الله وهم الأسماء الحسنى التي واجه بهم الله الخلق فبمعرفتهم يعرف الله سبحانه وتعالى.

وكمثال فأنت تعرف الناس بوجوههم فتقول هذا فلان وهذا فلان إذا نظرت في وجوههم. وكذا الله سبحانه وتعالى، فأنت إذا نظرت إلى وجهه سبحانه وتعالى، (أي الأنبياء والأوصياء والمرسلين)، تعرفه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٣٠٣.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) الفتح: ١٠.

واليد التي وضعت فوق أيدي المبايعين هي يد محمد صلى الله عليه وآله، ومع ذلك قال تعالى عنها: **(يَدُ اللَّهِ)**؛ لأن محمداً صلى الله عليه وآله هو الله في الخلق.

فأينما تتجهون فإن قبلتكم إلى الله هي وجه الله (ولي الله وحجته على خلقه)؛ لأن روحه لا تقيد بقيد الأجسام فهي موجودة ومحيطة بكم من كل الجهات، شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، بل لو تفقهون هذه الكلمات لعرفتم الحقيقة، فآل محمد صلى الله عليه وآله هم الطعام الذي تأكلون والماء الذي تشربون والهواء الذي تتنفسون، قال عيسى عليه السلام: **(أنا خبز الحياة)** [١]، وآل محمد هم موسى وهامان وهم إبراهيم ونمرود وهم نار إبراهيم وهم بردها وسلامها. فقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن [٢]، وآل محمد هم الرحمن في الخلق وهم صنائع الله والخلق صنائع لهم، وخلقهم الله، ومنهم عليهم السلام خلق الخلق ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[٣].

إذن، فهو أحسن الخالقين وغيره خالقون، ولكنه خالق مطلق، لا يحتاج إلى غيره وهم يحتاجون إليه سبحانه، فعيسى عليه السلام يخلق ولكنه فقير إلى الله ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٤].

وكذلك محمد وآل محمد عليهم السلام، فإصبعي الرحمن هما الشيطان والملَك، وقلب الإنسان بينهما، فالشيطان يوسوس ويضل، والملَك يرشد ويهدي، والشياطين والملائكة موجودون ومتقومون بآل محمد، وآل محمد موجودون ومتقومون بمحمد صلى الله عليه وآله، ومحمد صلى الله عليه وآله موجود ومتقوم بالله، وأيضاً الكل موجودون ومتقومون بالله. فأينما تولوا وجوهكم فثَمَ آل محمد عليهم السلام لأنهم وجه الله ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾.

إذا تبين هذا نعود إلى سجود يعقوب وأم وإخوة يوسف إلى يوسف عليه السلام.

---

(١) الكتاب المقدس مجمع الكنائس الشرقية: ص٣٠٧.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن)** شرح أصول الكافي: ج١ ص٣٠٢.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) آل عمران: ٤٩.

فيوسف عليه السلام يرى في المنام: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وتحققت الرؤيا في هذا العالم الجسماني هكذا: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

فيوسف عليه السلام بعد أن رفع أبويه على العرش سجدوا له وتحققت الرؤيا، أي إن يوسف عليه السلام بعد أن بيَّن مقام والديه وكونهما أصحاب الحق بالملك الإلهي والعرش الرباني، خروا له سجداً، إعظاماً لمقامه واعترافاً بأنّ يوسف عليه السلام هو خليفة الله وحجته على عباده، فالسجود ليوسف عليه السلام كونه قبلة إلى الله، فبه يعرف الله، والسجود ليوسف عليه السلام أي طاعة يوسف والإئتمار بأمره هو طاعة الله، قال الصادق عليه السلام: (كَانَ سُجُودُهُمْ ذَلِكَ عِبَادَةً لِلَّهِ)[2].

ويجدر الالتفات إلى أن يعقوب عليه السلام نبي ولم يسجد ولم ينصاع لطاعة يوسف عليه السلام إلا بأمر الله، كما أن الملائكة سجدوا لآدم وانصاعوا لطاعته بأمر الله، وكما انصاع أبو طالب عليه السلام لطاعة ابن أخيه وربيبه محمد صلى الله عليه وآله لما بعث، مع إن أبا طالب عليه السلام وصي من أوصياء إبراهيم عليه السلام، وكان الحجة من الله على محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث، وكما سجد يحيى عليه السلام وهو في بطن أمه إلى عيسى عليه السلام وهو في بطن أمه، وليس في هذا شرك كما يتوهم من يجهل الحقيقة، لأننا نسجد إلى الكعبة وهي حجر، لأن الله أمرنا بذلك، فماذا تريدون أن يفعل الملائكة إذ أمرهم الله أن يسجدوا لآدم ويجعلوه قبلتهم إلى الله، وآدم نبي وهو الطريق لمعرفة الله، وكذا ماذا تريدون من يعقوب عليه السلام أن يفعل إذ أمره الله أن يسجد ليوسف عليه السلام ويجعله قبلته إلى الله، هل تريدون من يعقوب عليه السلام وهو نبي أن يعصي أمر الله ويخضع لثلة من الأعراب العجاف (الوهابيين وأشباههم)؟! الذين لم يفقهوا آية من كتاب الله، وهم يصرخون: هذا شرك هذا شرك. فأين أنتم من تسليم أصحاب رسول الله لما بدَّل الله القبلة، فبمجرد أن أدار رسول الله وجهه داروا وجوههم معه.

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ج١٢ ص٣١٩.

قال الباقر عليه السلام: (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو البيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يتمكن استقبل البيت المقدس كيف كان فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشر سنة، فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: والله ما درى محمد كيف صلى حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاءه جبرائيل عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل لوددت لو صرفني الله تعالى عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم، فقال جبرائيل: فاسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك فلما استتم دعاءه صعد جبرائيل ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمد: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1] الآيات. فقالت اليهود عند ذلك: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾، فأجابهم الله أحسن جواب فقال: ﴿قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾،وهو يملكهما، وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]،هو مصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم).

فقال أبو محمد عليه السلام [3]: (وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشر سنة ثم تركتها الآن أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإنما يخالف الحق الباطل، أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة ؟ فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقاً وهذا حق يقول الله: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال

---

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) البقرة: ١٤٢.

(٣) أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لأن الحديث وارد في تفسيره.

المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم فقال رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل في يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده أفتركتم الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق أو الباطل إلى باطل أو الحق إلي حق قولوا كيف شئتم. فهو قول محمد ﷺ وجوابه لكم قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق، فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ثم قبلة الكعبة في وقته حق فقالوا: يا محمد أفبدا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة ؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف المتقدم، جل عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده، وليس يبدؤ وإلا لما كان هذا وصفه، وهو ﷻ متعال عن هذه الصفات علواً كبيراً. ثم قال لهم رسول الله ﷺ: أيها اليهود أخبروني عن الله، أليس يمرض ثم يصح، ويصح ثم يمرض؟ أبدا له في ذلك؟ أليس يحيي ويميت؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ فقالوا: لا، قال: فكذلك الله تعبد نبيه محمداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن تعبده بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأول، ثم قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف والصيف في أثر الشتاء؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك لم يبدُ له في القبلة، قال: ثم قال: أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ فبدا له في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك الله تعبدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء، ثم تعبدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، وإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتم ثوابه، وأنزل الله: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، يعني إذا توجهتم بأمره فثم الوجه الذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه. ثم قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله أنتم كالمرضى، والله رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب ويدبره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلموا الله

(١) البقرة: ١١٥.

أمره تكونوا من الفائزين فقيل: يا ابن رسول الله فلِمَ أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: لما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[1]، إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد صلى الله عليه وآله من مخالفيه بإتباع القبلة التي كرهها، ومحمد صلى الله عليه وآله يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمداً فيما يكرهه فهو مصدقه وموافقه. ثم قال: وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله إنما كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلا على من يهدي الله فعرف أن الله يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلى طاعته في مخالفة هواه) [2].

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤ ص١٠٥ ١٠٧.

إضاءة من فاتحة سورة يوسف

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

في هذه الآيات تفتتح مسيرة يوسف عليه السلام إلى الله، أنها تذكير من الله العليم الحكيم ليوسف عليه السلام بحقيقته التي ارتقاها في عالم الذر وغفل عنها بسبب حجاب الجسد لما خلقه الله وأنزله إلى هذا العالم الظلماني (عالم الأجسام)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، أي إنكم كنتم في عالم الذر مخلوقين وامتحنكم الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3].

---

(١) يوسف: ٤ ٦.

(٢) الواقعة: ٦٢.

(٣) الأعراف: ١٧٣ ١٧٢، وهذه الآية فيها رد على من يقول ما ذنب من لم يصل إليه الإسلام و لم يبلغ برسالات السماء كمن عاش في مجاهل أفريقيا أو في أطراف الأرض أو في أرض بعيدة عن أرض المرسلين عليهم السلام، والرد أن الآية الأولى تثبت أن الناس تم امتحانهم وكل أخذ مقامه وتبين حاله واستحقاقه والآية الثانية تبين أنهم غير معذورين بإتباع ضلال آبائهم في هذه الأرض أو أنهم عاشوا في أرض لم يطأها نبي و لم يصل لها الحق و لم يبلغهم به أحد لان الله يقول لهم إني امتحنتكم في عالم الذر وعلمت حالكم واستحقاقكم فلا تقولوا (**إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**) الأعراف: ١٧٣، أي أن الله يقول لهم أنا اعلم انه لو جاءكم الأنبياء والأوصياء والمرسلون وبلغكم برسالات السماء المبلغون لما آمنتم ولما صدقتم (**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**) الأنفال: ٢٣، أما من يقول فلماذا لم يسووا مع الكفار في ارض الرسالات في إيصال البلاغ فالرد أن تبليغ هؤلاء فضل على من لا يقبل الفضل ولا يستحقه وأنت تعلم علم مسبق انه لا يقبله يقيناً فعرضه عليه تحصيل حاصل، وبالتالي فلا يضر أن تعرضه على بعضهم لبيان أن الباقي كهؤلاء الذين عرض عليهم الحق فلم يقبلوه فالعرض على بعضهم لإتمام الحجة وانه لا عذر لمن يقول (**إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ**)؛ لأن نظرائهم عرض عليهم الحق

وفي دعاء يوم الغدير الذي رواه عمارة بن الجوين أبي هارون العبدي، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (**... فمن صلى ركعتين، ثم سجد وشكر الله عز وجل مائة مرة، ودعا بهذا الدعاء بعد رفع رأسه من السجود، الدعاء: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد وحدك لا شريك لك، وأنك واحد أحد صمد، ولم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد، وأن محمدا عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله. يا من هو كل يوم في شأن، كما كان من شأنك أن تفضلت عليَّ بأن جعلتني من أهل أجابتك وأهل دينك وأهل دعوتك، ووفقتني لذلك في مبتدأ خلقي تفضلا منك وكرما وجودا، ثم أردفت الفضل فضلا، والجود جودا، والكرم كرما، رأفة منك ورحمة إلى أن جددت ذلك العهد لي تجديدا بعد تجديدك خلقي، وكنت نسياً منسياً ناسياً ساهياً غافلاً. فأقمت نعمتك بأن ذكرتني ذلك ومننت به على وهديتني له فليكن من شأنك يا الهي وسيدي ومولاي، أن تتم لي ذلك ولا تسلبنيه حتى تتوفاني على ذلك، وأنت عني راض، فانك أحق المنعمين أن تتم نعمتك علي، اللهم سمعنا وأجبنا داعيك بمنك فلك الحمد، غفرانك ربنا واليك المصير، آمنا بالله وحده لا شريك له، وبرسوله محمد صلى الله عليه وآله وصدقنا وأجبنا داعي الله واتبعنا الرسول في موالاة مولانا ومولى المؤمنين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبد الله وأخي رسوله، والصديق الأكبر، والحجة على بريته، المؤيد به نبيه ودينه الحق المبين، علما لدين الله، وخازنا لعلمه، وعيبة غيب الله، وموضع سر الله، وأمين الله على خلقه، وشاهده في بريته. اللهم إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم، فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد. فإنا يا ربنا بمنك ولطفك أجبنا داعيك، واتبعنا الرسول وصدقناه وصدقنا مولى المؤمنين، وكفرنا بالجبت والطاغوت، فولنا ما تولينا، واحشرنا مع أئمتنا فإنا بهم مؤمنون موقنون ولهم مسلمون. آمنا بسرهم وعلانيتهم، وشاهدهم وغائبهم، وحيهم، ورضينا بهم أئمة وقادة وسادة، وحسابنا بهم بيننا**

فاختاروا ضلال آبائهم على هدى المرسلين (**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**) الزخرف: ٢٣، بل جعلوا ضلال آبائهم هو الهدى والحق (**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**) الزخرف: ٢٢.

وبين الله دون خلقه لا نبتغي بهم بدلاً، ولا نتخذ من دونهم وليجة، وبرئنا إلى الله من كل من نصب لهم حربا من الجن والإنس من الأولين والآخرين، وكفرنا بالجبت والطاغوت والأوثان الأربعة وأشياعهم وأتباعهم وكل من والاهم من الجن والإنس من أول الدهر إلى آخره ...) [1].

وقوله عليه السلام: (**بعد تجديدك خلقي**): أي انك خلقتني في هذه الدنيا بعد أن خلقتني في الذر، وقوله عليه السلام: (**جددت ذلك العهد لي تجديداً**): أي ذكَّرتَّني وجعلتني أقر بولاية أولياءك (الأنبياء والأوصياء عليهم السلام) في هذه الدنيا كما أقررت بها لما خلقتني في الذر بفضلك.

فلماذا لا تتذكرون، وأيضاً لماذا لا تسعون إلى الله ليذكركم ؟! وتتذكرون لما ترفع الحجب ويكشف للإنسان حقائق الملكوت كأنبياء الله عليهم السلام ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [2].

وأيضاً الخطاب في أول سورة يوسف عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله وهو خير خلق الله ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [3]، أي إنك يا محمد صلى الله عليه وآله أنزلت إلى هذا العالم، وحجبت عنك حقيقتك وامتحنك الله بهذا الامتحان الثاني في هذا العالم، وكنت الفائز بالسباق مرة أخرى، بعد أن كنت الفائز بالسباق في الامتحان الأول في عالم الذر، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [4].

---

(١) إقبال الأعمال السيد ابن طاووس الحسني: ج٢ ص٢٧٧.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) الشورى: ٥٢.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لم أكن أعلم ذلك حتى عرفنيه الآن جبرائيل عليه السلام، وما كنت أعلم شيئاً من كتابه ودينه أيضاً حتى علمنيه ربي، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾) [١].

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْعِلْمِ أَهُوَ عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالِمُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، أَمْ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ تَقْرَءُونَهُ فَتَعْلَمُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ عليه السلام: الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْجَبُ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَما الْإِيمانُ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيُقِرُّونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لا يدري مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا يَقُولُونَ. فَقَالَ لِي: بَلَى قَدْ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّتِي ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَوْحَاهَا إِلَيْهِ عَلَّمَ بِهَا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ، فَإِذَا أَعْطَاهَا عَبْداً عَلَّمَهُ الْفَهْمَ) [٢].

إذن، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام ممتحنون بهذا العالم، فكما حجب غيرهم وأغفل عن الامتحان الأول والإيمان الأول في عالم الذر، حجبوا عليهم السلام ليكون هذا الامتحان الثاني عادلاً فالكل أغفلوا عن عالم الذر بحجاب الجسد، والمطلوب تجريد الروح بمرتبة ليعرف الإنسان الحقيقة وينظر في ملكوت السماوات، وقد تجرد الأنبياء والأوصياء، والمطلوب من الكل التجرد لينجحوا في الامتحان كما أن الله سبحانه وتعالى ساوى كل بني آدم في الفطرة لتتم كلمته سبحانه أنه هو العادل الحكيم، فالكل مفطورون على معرفة أسماء الله سبحانه، ليكونوا وجه الله وأسماءه الحسنى، وكل من قصَّر فحظه ضيَّع.

إذن، فهذه الرؤيا تذكير ليوسف عليه السلام، بل وتذكير ليعقوب وتعريف له بهذا الابن، فهو وصيه والحجة من بعده، كحال رؤيا الإمام موسى بن جعفر التي نصت على إمامة الرضا من بعده.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٦٤١.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٧٤ ح٥.

عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن أسباط، عن الحسين مولى أبي عبد الله، عن أبي الحكم، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري، عن يزيد بن سليط الزيدي، قال: (لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة ونحن جماعة، فقلت له: بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون والموت لا يعرى أحد منه فأحدث إلي شيئاً ألقيه إلى من يخلفني، فقال لي: **نعم هؤلاء ولدي وهذا سيدهم** وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام **وفيه العلم والحكم والفهم والسخاء والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ...**

وقال يزيد: ثم لقيت أبا الحسن يعني موسى بن جعفر عليه السلام بعد فقلت له: بأبي أنت وأمي إني أريد أن تخبرني بمثل ما أخبرني به أبوك، قال: فقال: **كان أبي عليه السلام في زمن ليس هذا مثله**، قال يزيد فقلت: من يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله، قال: فضحك، ثم قال: **أخبرك يا أبا عمارة إني خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر إلى بني فأشركتهم مع ابني علي وأفردته بوصيتي في الباطن ولقد رأيت رسول الله في المنام وأمير المؤمنين عليه السلام معه ومعه خاتم وسيف وعصا وكتاب وعمامة، فقلت له: ما هذا، فقال: أما العمامة فسلطان الله تعالى عز وجل وأما السيف فعزة الله عز وجل وأما الكتاب فنور الله عز وجل وأما العصا فقوة الله عز وجل وأما الخاتم فجامع هذه الأمور، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والأمر يخرج إلى علي ابنك، قال ثم قال: يا يزيد إنها وديعة عندك فلا تخبر بها إلا عاقلاً أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان أو صادقاً ولا تكفر نعم الله تعالى وإن سئلت عن الشهادة فأدها فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾[1]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّه﴾[2]، فقلت والله ما كنت لأفعل هذا أبداً.**

قال: ثم قال أبو الحسن عليه السلام: **ثم وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: علي ابنك الذي ينظر بنور الله ويسمع بتفهيمه وينطق بحكمته يصيب ولا يخطئ ويعلم ولا يجهل وقد ملئ حكماً وعلماً وما أقل مقامك معه، إنما هو شيء كان لم يكن فإذا رجعت من سفرك فأصلح أمرك وأفرغ مما أردت فإنك منتقل عنه ومجاور غيره، فاجمع ولدك وأشهد الله عليهم جميعاً وكفى**

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) البقرة: ١٤٠.

بالله شهيداً. ثم قال: يا يزيد إني أؤخذ في هذه السنة وعلي ابني سمي علي بن أبي طالب عليه السلام وسمي علي بن الحسين عليه السلام، أعطي فهم الأول وعلمه ونصره ورداءه، وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجيبك إن شاء الله تعالى) [1].

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [2]:

هذه الآية تبين أن الإنسان مفطور على الانجذاب إلى عالم الملكوت والرؤيا من هذا العالم القدسي، فالإنسان مفطور على تقبُّلِ الرؤيا وتصديقها والتفاعل معها، بل الرؤيا في كثير من الأحيان عبارة عن إخبار غيبي عما سيحصل في المستقبل، وهذا نراه في واقعنا، كما نراه ذُكر في القرآن والتوراة والإنجيل، فكل ما حصل في الملكوت حصل في الأرض. فأخوة يوسف إذا قص عليهم الرؤيا سيعلمون أنه خليفة الله ووصي يعقوب عليه السلام دونهم، وربما تعاد قصة ابني آدم لذا حذَّر يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام أن يقص الرؤيا على إخوته، لأنهم بهذا الخبر الآتي من ملكوت السماوات، سيعلمون من حال يوسف عليه السلام ما يسعر الحسد في نفوسهم ويجعلهم غرضاً للشيطان ليستفزهم بندائه ويعديهم بدائه.

لكن يعقوب عليه السلام الذي نهى يوسف عن قصِ الرؤيا أصبح شديد الاهتمام بيوسف عليه السلام، وكان هذا الاهتمام قربة لله، لأن يوسف عليه السلام ولي من أولياء الله ووصي يعقوب عليه السلام، لكن هذا الاهتمام أمسى سبباً ليكون يوسف غرضاً لكيد إخوته **﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** [3]، فهم يرون أنهم أحق باهتمام يعقوب عليه السلام لأنهم أحق بخلافته من يوسف عليه السلام، ويرون أن اعتماد يعقوب عليه السلام على الرؤيا في تحديد وصيهُ يوسف عليه السلام **﴿ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** فلم يكونوا ليصدقوا بالرؤيا لأنها خالفت أهواءهم ولذا قرروا **﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً**

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٢٤ ٢٦.

(٢) يوسف: ٥.

(٣) يوسف: ٨.

صَالِحِينَ﴾[١]، قَوْماً صَالِحِينَ أرادوا أنهم يكونون أوصياء يعقوب عليه السلام وخلفاء الله في أرضه، فهنا تكررت قصة الحسد الأولى على هذه الأرض، قصة ابني آدم.

وكذلك يوسف هو وصي الإمام المهدي عليه السلام وابنه، وإخوته هم علماء دين:

● عن سدير، قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (**إن في القائم سنة من يوسف، قلت كأنك تذكر خبره أو غيبته ؟ فقال لي: وما تنكر هذه الأمة أشباه الخنازير أن أخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا بيوسف وباعوه وهم أخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته عنهم لقد كان يوسف يوماً ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة أيام إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾**[٢]) [٣].

● وقال الإمام الباقر عليه السلام: (**إن صاحب هذا الأمر فيه سنة من يوسف ابن أمة سوداء، يصلح الله عز وجل أمره في ليلة واحدة**) [٤].

فكل ما جرى ليوسف يجري للمهدي الأول وصي الإمام المهدي عليه السلام واليماني الموعود.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[٥]:

---

(١) يوسف: ٩.

(٢) يوسف: ٨٩ ٩٠.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص١٤٤.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٢٩.

(٥) يوسف: ١٠.

وهذه الآية تكررت مع عيسى عليه السلام فلما أراد علماء اليهود لعنهم الله قتله اعترض عليهم أحدهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ لا تقتلوا عيسى عليه السلام .....

وهذا ديدن علماء الدين غير العاملين في كل زمان يحاولون قتل الأنبياء والأوصياء لكي لا يتبعهم الناس وينجون من النار المستعرة في قلوب هؤلاء العلماء غير العاملين، ولكي يبقى الناس يتوهمون أن العلماء غير العاملين هم الطريق إلى الله بينما هم طريق إلى الشيطان و إلى جهنم بل هم جهنم، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾[١].

وكما عادت هذه الآية مع علي عليه السلام وصي رسول الله وعادت مع وصي الإمام المهدي عليه السلام، فتدبروا يا أولي الألباب فإن في قصصهم عبرة فاعتبروا بها وتعلموا منها، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، فالامتحان كل مرة يعاد وكل مرة تفشلون وبين قولين ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ ... وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾، وهكذا كل مرة ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٣].

متى تلتفتون إلى آيات الله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[٤]، الآن التفتوا فإنّ في قصة يوسف آيات للسائلين، سائلين الله تمام العقل، في سورة يوسف ذُكرت النبوة وليس الرسالة كما بيَّنتُ، فسورة يوسف في مقام بيان المواجهة بين العبد وربه، بين الرسول وربه، وليست في مقام بيان مواجهة الرسول مع الناس، فهي في بيان النبوة لا في بيان الرسالة، ولذلك فهي آيات لسائلين الله تمام العقل، آيات لأولياء الله، آيات لأصحاب القائم عليه السلام، آيات للسائرين إلى الله، آيات في طريق الله لسائلين الله الهداية، وقد بيَّن تعالى في أول سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥]، أي ترتقون إلى السماء السابعة الكلية سماء العقل فتتم عقولكم.

---

(١) القصص: ٤١.

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) البقرة: ٨٧.

(٤) يوسف: ٧.

(٥) يوسف: ٢.

ولا يبعث نبي حتى يتم عقله، ويمسح القائم عليه السلام (وهو يد الله) على رؤوس أصحابه فتتم عقولهم، أي يمسح على رؤوسهم بالعلم وتتم عقولهم إذا عملوا بهذا العلم وارتقوا في ملكوت السماوات إلى السماء السابعة، ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1].

(١) غافر: ٦٧.

إضاءة من قصة ابني آدم وإخوة يوسف عليه السلام

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1].

هابيل تقبل الله منه وأصبح وصي آدم عليه السلام وقابيل لم يتقبل الله منه، فحسد قابيلُ هابيلَ وهدده بالقتل، فكان رد هابيل: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وقتل قابيلُ هابيلَ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، إذن ندم وخسارة لا دنيا ولا آخرة.

لم يكن الأوصياء عليهم السلام ينظرون أن الدنيا شيء، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فمالهم وملك لا يبقى وذكر في الدنيا يفنى مع فنائها.

وهذه الحالة (حالة ابني آدم) كم تكررت، ولذا قال تعالى: أتل، أي اقرأها عليهم وبينها لهم وعرفهم بها؛ لأنها حالة تتكرر في كل زمان ومع كل وصي، فهذا السامري ابن خالة موسى عليه السلام وقائد جيشه يحسده ويقتله، لأنه قتل قضية موسى عليه السلام، لما أضل بني إسرائيل، بل أراد ومن كان معه قتل هارون عليه السلام وصي موسى عليه السلام، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ

---

(١) المائدة: ٢٧ ـ ٣٢.

وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١].

ومع هذا فإن موسى عليه السلام لما رجع لم يقتل السامري بل ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ**﴾[٢]، وكأنهما هابيل وقابيل، حالة تتكرر مع كل وصي، فهذا يهوذا الاسخريوطي يريد قتل عيسى عليه السلام وتسليمه لعلماء بني إسرائيل، وهكذا مع كل وصي تجد قابيل وسامري ويهوذا الاسخريوطي، فمع علي عليه السلام تجد عمر حسده وقتله لما قتل قضيته واغتصب إمامته، والأوصياء عليهم السلام ينظرون إلى هداية الناس وتعريفهم بالله، وهؤلاء قابيل والسامري ويهوذا الاسخريوطي وعمر ينظرون إلى الملك والذكر في هذه الدنيا الفانية الزائلة مع أهلها وذكرها.

﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ...**﴾ في كل زمان اتل عليهم، أي في كل زمان تجدون ابني آدم، وصي مظلوم مهضوم مغصوب الحق مقتول شخصه أو شخصيته، وقاتل ملعون يغتصب حق الوصي، في كل زمان تتلى هذه الآية في أرض الواقع ولا يلتفت الناس ولا يتعضون ولا يتذكرون، بل تستمر الغفلة والجهل، ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[٣].

وكذا الحال مع يوسف عليه السلام وإخوته ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[٤]. ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ**﴾ **بَنِي إِسْرائيلَ**: هم أولاد يعقوب عليه السلام، الأسباط والمراد منهم هنا الأوصياء عليهم السلام، وفي هذه الأمة هم آل محمد عليهم السلام المفضلون على العالمين: ﴿**يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[٥]، ﴿**كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ**﴾: أي على الأوصياء ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾، فمن قتل وصياً قتل كل الناس، لأن الوصي والنبي هو أبو الأمة وقائدها وإمامها، فالذي يقتل شخص أو شخصية الإمام، يقتل الأمة، لأنه يتسبب في ضلالها وانحرافها، ومن نصر الوصي أو النبي وأظهر أمره

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) الروم: ٧.

(٤) يوسف: ١٣ .

(٥) البقرة: ٤٧.

وأيده وبيَّن أمره للناس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

والرسل عليهم السلام جاءوا بالبينات ومع ذلك فإن الناس قتلوهم، قتلوا أشخاصهم وشخصياتهم، واتبعوا كل مسرف متكبر ملعون ينتحل مقام الأوصياء عليهم السلام كالسامري وأمثاله ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، وكذا الحال مع وصي الإمام المهدي عليه السلام فمن أحياه فكأنما أحيا الناس، كل أهل الأرض، لأنه بعث ليهدي أهل الأرض ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[1]، ومن قتل وصي الإمام المهدي عليه السلام فكأنما قتل الناس جميعاً، كأنما قتل محمداً وعلياً وفاطمة والأئمة والأنبياء والأوصياء والمرسلين عليهم السلام.

(١) الفتح: ٢٨.

إضاءة من الجب

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[1].

أراد يعقوب عليه السلام بالذئب النفس الأمارة بالسوء، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ عن ذكر الله، وتذكر حالكم في الذر، وفي بداية سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2]، فأنتم غافلون عن الذئب المستعر في بواطنكم، أي أنفسكم الأمارة بالسوء، كغفلتكم عن حالكم في الذر الأول، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

فلما ألقوه في الجب بيَّن لهم يعقوب هذا الذئب الذي أكل يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[4]، وفي الجب رأى يوسف عليه السلام أن هذه الذئاب سيهذبها الجوع وستأتيه خاضعة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[5]، رأى يوسف في الرؤيا هذه الذئاب تتخضع بين يديه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[6]، وهو يذكرهم أنهم كانوا الذئاب التي أكلته من قبل ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[7]، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[8]، لا تذكرون الله، غافلون عن ذكر الله وهذه آية للسائلين، فإذا اجتمع الجهل والغفلة أمسى الإنسان ذئباً متوحشاً لا يعرف الرحمة، فيعقوب

---

(١) يوسف: ١٣.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) الواقعة: ٦٢.

(٤) يوسف: ١٨.

(٥) البقرة: ١٥٥.

(٦) يوسف: ٨٨.

(٧) يوسف: ١٥.

(٨) يوسف: ٨٩.

يخاطبهم ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[١]، ويوسف يخاطبهم ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، ويوسف الوصي النبي المرسل ماذا يكون رده على إخوته الذين حسدوه وأرادوا قتله ؟ ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢].

إنه كرد هابيل ابن آدم أول وصي مقتول على من أراد قتله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وكرد موسى عليه السلام على السامري الذي أراد قتل هارون وموسى عليهما السلام: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾.

قصة كل مرة تتكرر، فهل من متذكر، وهل من معتبر إن ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

وبعد الجريمة يأتي الإعلام ليقلب الحقائق، وربما يجعل من القاتل مقتولاً ومن المقتول قاتلاً، ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[٤].

ولم يكتفِ الذئب البشري بإلقاء يوسف عليه السلام في الجب وتزوير الحقائق، بل ذهب في التنكيل بيوسف إلى أبعد من هذا، فلما أخرجه أهل القافلة من الجب وفرحوا به جاءهم الذئب، وقال هذا عبدي، ولم يقل إخوة يوسف عن يوسف إنه عبدنا ليبيعوه ويحصلوا على المال من أهل القافلة، بل للتنكيل بيوسف وتسليمه إلى الرق والعبودية، فهم باعوه بثمن بخس دراهم قليلة، وذلك لأنهم زاهدون فيه يريدون الخلاص منه بكل صورة، ويريدون أن يجعلوه عبداً مملوكاً بكل طريقة ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٥].

---

(١) يوسف: ١٣.

(٢) يوسف: ٩٢.

(٣) يوسف: ١١١.

(٤) يوسف:١٦.

(٥) يوسف:٢٠.

إضاءة من الابتلاء الواقع في الطريق إلى الله

في مسيرة يوسف عليه السلام إلى الله، في مسيرة التكامل الإنساني التي خاضها يوسف عليه السلام على هذه الأرض، كان للابتلاء مساحة واسعة، بل إن الله سبحانه وتعالى جعل في شدة الابتلاء التمكين، فبعد أن أصبح يوسف عليه السلام عبداً مملوكاً في مصر، وفي بيت عزيز مصر بالخصوص ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ...﴾، نجده تعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾[1]، فسيأتي التمكين من هذا القيد قيد العبودية، فالشيطان (لعنه الله) يمكر ويكيد بيوسف عليه السلام، ولكن ﴿... مَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]، والله سبحانه يبدل السيئات بالحسنات، وذل العبودية بعز الملك ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[3]، فكلما مكر الشيطان بيوسف وخطط لإيذاء يوسف عليه السلام، مرة بإخوته ومرة بالجب ومرة بالعبودية ومرة بامرأة العزيز ومرة بالسجن تنقلب هذه الأمور إلى مسيرة يوسف عليه السلام إلى ملك مصر، فكل خطط الشيطان ومكره أصبحت أحداثاً توالت وهي تدفع وتقرب يوسف مرة بعد أخرى من ملك مصر، فمع أن الشيطان (لعنه الله) أراد إيذاء يوسف عليه السلام والإضرار به باعتباره عدوه، ولكن مكر الشيطان انقلب إلى خطة محكمة لتمكين يوسف عليه السلام من ملك مصر ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وأرجو أن لا تفوتني وتفوتكم الفرصة من أن نستضيء بنور هذه الآية ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾، وأرجو من الآن أن نتخذ القرار الصحيح، إما أن نكون من الغافلين الجاهلين الذين لا يعلمون، أو أن نصبح من الذاكرين المتذكرين الذين يُعلمهم الله.

---

(١) يوسف: ٢١.

(٢) فاطر: ١٠.

(٣) النمل: ٥٠.

(٤) يوسف: ٢١.

إضاءة من السجن

في السجن يوسف عليه السلام نبي مرسل لا يترك الدعوة إلى الله، فلابد أن يكون هناك تأثير في نفوس السجناء، كأي مجتمع إنساني في مواجهة رسالات السماء، ولابد أن ينقسم المجتمع إلى جهتين جهة تؤمن وجهة تكفر، هكذا انقسمت المجتمعات التي بعث فيها الرسل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾[2]، والفتيان اللذان دخلا معه السجن كذلك فأحدهما كان قريباً من الإيمان برسالة يوسف والثاني مكذباً، وهما مختلفان في هذه الرسالة بين التصديق والتكذيب، أقبلا على يوسف عليه السلام أحدهما رأى رؤيا هي: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾[3]، والثاني مكذب برسالة يوسف عليه السلام، فكذب ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾[4] وكان يريد ان يؤوِّل يوسف عليه السلام كذبه، لا يطعن برسالة يوسف عليه السلام، فهما إذن اقبلا على يوسف ليحلا خلافاً بينهما حول رسالة يوسف عليه السلام ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولذا قال يوسف في آخر كلامه معهما ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ فحصول ما أخبرهما به يوسف عليه السلام، سيثبت أن الرؤيا حق من الله، ولا ينكرها إلا القوم الكافرون وبالتالي تثبت نبوة يوسف عليه السلام، التي كانت تدور حول الرؤيا، ولذا ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ ترقبا هذا ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾، وبهذا يحسم النزاع ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[5].

فعاقبة الإيمان خير الدنيا والآخرة، وعاقبة الكفر خسارة الدنيا والآخرة، وهذا ما حصل معهما، فهما جاءا مختلفان حول رسالة يوسف عليه السلام.

كما أن يوسف لم يُؤوِّل الرؤيا في أول كلامه، بل بيَّن لهم رسالته، وأنه مؤيد بملكوت السماوات، ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا

---

(١) النمل: ٤٥.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) يوسف: ٣٦ .

(٤) يوسف: ٣٦.

(٥) يوسف: ٤١.

﴿عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[١]، وانه يدعو إلى توحيد الله ونبذ عبادة العباد للعباد ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ثم انتقل يوسف إلى تأويل رؤيا الصادق، وتأويل الرموز التي رتبها الكاذب، فينجو الصادق بصدقه، ويهلك الكاذب بكذبه وتكذيبه على الله وبرسالة يوسف عليه السلام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا...﴾[٣]، والظن هنا بمعنى اليقين قال تعالى: ﴿... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤]، أي أنهم على يقين من لقاء الله. ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥]، أي تيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه.

وأوحى الله ليوسف عليه السلام: إن هذا السجين سينجو وسيكون قريباً من الملك (برؤيا السجين)، وأوحى الله ليوسف عليه السلام: إن الملك سيخرجه من السجن وإن هذا السجين سيكون سبب خروجه من السجن، ولهذا قال له يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أراد به ذا أن يبين لهذا السجين علمه بالغيب، عندما سيضطر في المستقبل إلى ذكره عند الملك، كما أراد لفت انتباه السجين إلى حاله وليذكره في المستقبل عند الملك إذا رأى الرؤيا التي ستكون سبباً في خروج يوسف عليه السلام من السجن.

وهنا التفت يوسف عليه السلام إلى الأسباب، ومع أنه لم يغفل عن مسبب الأسباب كما توهم بعضهم أنه طلب معونة السجين والملك وغفل عن الله سبحانه، ولكن مع هذا فإن يوسف

---

(١) يوسف: ٣٧.

(٢) يوسف: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) يوسف: ٤٢.

(٤) البقرة: ٢٤٩.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

عليه السلام أشرك عندما جعل للأسباب قيمة ووزناً في ميزانه، وهو عليه السلام الذي لمس آيات الله ومعجزاته التي نجا بها فيما مضى من حياته، وهذا الشرك الخفي ذُكر في آخر سورة يوسف ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[١].

عن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**إن يوسف أتاه جبرائيل فقال له: يا يوسف إن رب العالمين يقرؤك السلام ويقول لك من جعلك في أحسن خِلقة ؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال أنت يا رب، ثم قال له: ويقول لك من حببك إلى أبيك دون إخوتك ؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض وقال أنت يا رب، قال ويقول لك: من أخرجك من الجب بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة ؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال أنت يا رب، قال: فإن ربك قد جعل لك عقوبة في استغاثتك بغيره فلبثت في السجن بضع سنين، قال: فلما انقضت المدة، وأذن الله له في دعاء الفرج، فوضع خده على الأرض، ثم قال: (اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فاني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب) ففرج الله عنه.**

قلت: جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء ؟ فقال ادع بمثله: **اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فاني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام**)[٢].

قال يوسف عليه السلام للسجين: ﴿**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾، وسبب التفات يوسف للأسباب هو الشيطان ﴿**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ**﴾ فكانت النتيجة: ﴿**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾[٣]، وهذا الشيطان (أي الشر) هو الظلمة التي لا يخلو منها مخلوق، فالنور الذي لا ظلمة فيه هو الله سبحانه، ومع ان هذه الظلمة قليلة في كيانات الأنبياء النورانية المقدسة، ولكنها موجودة ولها أثر على حركتهم عليهم السلام، ولهذا فهم يحتاجون إلى العصمة من الله ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا**

---

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي: ج١ ص٣٤٤.

(٣) يوسف: ٤٢.

لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[١].

فلولا هذه الظلمة لما احتاجوا إلى العصمة، ومن يعتقد غير هذا فهو ينزلهم منزله الله سبحانه عما يشركون، وهذه المغالاة في التنزيه لهم عليهم السلام حتى يوصلهم بعض من يجهل الحقيقة إلى مرتبة نور لا ظلمة فيه، هي شرك يخطأ من يعتقده، كما ان من يستخف بعصمتهم وبحقهم ومرتبتهم يكفر بحقهم ويخطأ، وقد بيَّن سبحانه في القرآن أثر هذه الظلمة في مسيرة الأنبياء في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾[٢]، والذي نسى وأنساه الشيطان هو فتى موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون نبي من أنبياء بني إسرائيل ووصي موسى عليه السلام الذي فتح الأرض المقدسة، ومع هذا فلا بد من ملاحظة ان الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء محط نظره، فحتى ما يحصل بسبب هذه الظلمة يكون في النتيجة سبباً يوصلهم ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ فأصبح نسيان الحوت سبباً دلهم على العالِم عليه السلام ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[٣]، أو يزيد علمهم ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾[٤]، فبعد أن تعلم داود عليه السلام من هذه الحادثة أن لا يتكلم إلا بعد أن يسمع الخصمين، خاطبه تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٥].

ثم استفاد يوسف عليه السلام من هذه الحادثة قبل وبعد خروجه من السجن وهو في مسيرته التكاملية إلى الله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ

---

(١) الجن: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الكهف: ٦٣.

(٣) الكهف: ٦٤.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) ص: ٢٦.

بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[١].

إذن، يوسف عليه السلام يقول: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، فالذي أخرجه من السجن الله فقط لا غير، والذي جاء بأهله إلى مصر الله فقط لا غير، عمي يوسف عن الأسباب ولم يعد يرى إلا مسبب الأسباب، فمن ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ إلى أن الله فقط هو الذي (**أَحْسَنَ بِي، أَخْرَجَنِي، وَجَاءَ بِكُمْ**)، لم يعد يوسف يرى إلا الله، أما الملك الذي كان سبباً في خروجه من السجن، فلم يكن يوسف ليراه الآن، وهو الذي جاء بأهله من البدو ومع ذلك لا يرى نفسه، لقد انتقل يوسف عليه السلام إلى مرتبة أعلى وارتقى في ملكوت السماوات، لقد أصبح يوسف عليه السلام يرى بوضوح كامل انه لم يصب خيراً قط إلا من الله، ولم يصرف عنه سوءاً قط أحد سوى الله.

إذن يوسف عرف الحقيقة الآن، والذي يعرف الحقيقة يكون كحمامة الزاجل همها الرجوع إلى البيت الذي أُطلِقت منه، وهكذا لم يكن دعاء يوسف عليه السلام في النهاية بعد أن أتاه الله الملك والعلم إلا ..... **تَوَفَّنِي** ..... ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٢]، فلأن يوسف عرف الحقيقة يريد أن يعود إلى الحقيقة التي عرفها والتي خرج منها، وهكذا يدعو الحسين عليه السلام في يوم عرفة (يوم معرفة الله): (**إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار، فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، حتى ارجع إليك منها كما دخلت إليها منك، مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير**)[٣].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤].

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) يوسف: ١٠١.

(٣) بحار الأنوار: ج٩٥ ص٢٢٦.

(٤) الذاريات: ٥٠.

إضاءة من رؤيا ملك مصر

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[1].

الرؤيا (الصادقة) حق من الله سبحانه وتعالى سواء رآها نبي كيوسف عليه السلام أو رآها باحث عن الحقيقة كالسجين الأول أو رآها كافر غافل عن ذكر الله كفرعون مصر. وسورة يوسف عليه السلام دارت حول هذه النقطة، الرؤيا حق من الله ينكرها الكافرون بالله كملأ فرعون ويؤمن بها المؤمنون بالله كالسجين الأول ويوسف عليه السلام، أما من يرى الرؤيا فلابد أن يكون لها أثر في نفسه سواء كان مؤمناً أم كافراً، فملك مصر لم يكن مؤمناً، ولكنه لم يقبل إهمال رؤياه على أنها أضغاث أحلام، كما قرر ملأه وزبانيته.

وبدأت رحلة البحث عن حقيقة هذه الرؤيا، فمرت بملأ فرعون الكافرين فأهملوها واستخفوا بها، وكذلك يتابعهم اليوم الجاهلون، ثم انتقلت إلى السجين الأول الذي نجا بإيمانه وتصديقه يوسف عليه السلام وأُرسِلَ إلى السجن.

فبماذا خاطب يوسف عليه السلام ؟

خاطبه خطاب مؤمن مصدق له، فإذا رجعنا إلى حاله لما تقدم هو وصاحبه إلى يوسف عليه السلام في السجن ليسأله عن رؤياه، قال مع صاحبه: ﴿.. نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وهذه العبارة لا تعبِّر عن القطع بصدق يوسف عليه السلام، أما الآن فهو يقول: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا..﴾[3]، أي بيّن لنا ما سيحصل حقاً وصدقاً فأنت صادق بل خيرة الصادقين ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ فهذا الشخص (السجين الأول) الآن مؤمن بالرؤيا حتى وان كان من رآها فرعون مصر، بل ويأخذ كلام يوسف حول الرؤيا على انه سيحصل يقيناً ﴿.. أَفْتِنَا ..﴾ إلا ما شاء الله رب العالمين.

ونتيجة هذه الرؤيا التي رآها فرعون مصر الكافر، أن عمل بها يوسف عليه السلام فطلب على

---

(١) يوسف: ٤٣.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) يوسف: ٤٦.

أساسها ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١]، ثم بنى اقتصاد مصر على أساس هذه الرؤيا، وعمل على أساسها فرعون مصر الكافر، فأخرج يوسف عليه السلام من السجن وخاطبه فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٢]، وكانت نتيجة الرؤيا: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

وهذه الرؤيا ليس فيها نبي ولا وصي، ولكنها حق من الله، وصدَّقها صاحبها فرعون الكافر، والسجين المؤمن، ويوسف عليه السلام، واليوم ماذا حصل ؟ يرى المؤمنون رؤيا بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام والأئمة عليهم السلام يقولون هذا هو الحق، فيقول لهم العلماء غير العاملين قرناء ملأ فرعون: هذه أضغاث أحلام. أو أنهم يقولون قولاً ازدادوا به طغياناً وكفراً على ملأ فرعون، وذلك بقولهم: إن الشيطان (لعنه الله) يتمثل بخيرة الله من خلقه محمد وآل محمد والأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

---

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) يوسف: ٥٤.

(٣) يوسف: ٥٦.

إضاءة من نبوة يوسف عليه السلام

الآن، نعود إلى التركيز في ذكر يوسف عليه السلام في القرآن كنبي لا كمرسل، أي على علاقته مع الله أو ارتباط قضيته بالله، لا على ارتباط قضيته بالناس وتبليغهم، وقبل بيان الحكمة من ذلك (ومع أنها اتضحت مما سبق)، يجب أن نلاحظ أن نبوة يوسف عليه السلام كانت الرؤيا والكشف محوراً أساسياً فيها، فهو يرى رؤيا والسجين يرى رؤيا وفرعون يرى رؤيا، وكلها بالنتيجة تؤيد أحقية يوسف عليه السلام ونبوته ورسالته.

إذن، فالرؤيا طريق لوحي الله إلى يوسف، والرؤيا طريق لإثبات نبوة يوسف عليه السلام ورسالته ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[1]، ومن البينات الرؤيا التي رآها كثيرون تؤيد نبوة يوسف.

وإذا عرفنا أن يوسف في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو وصيه (اليماني)، فقولهم عليهم السلام: إن فيه سنة من يوسف وهي السجن، قطعاً ليست في الإمام المهدي عليه السلام، لأنه لا يسجن كما هو معروف، بل هي في المهدي الأول (اليماني)، إذن فلابد أن تتكرر مع المهدي الأول قصة يوسف عليه السلام (بل وقصص الأنبياء والأئمة عليهم السلام)، فتكون الرؤيا محوراً أساسياً لإثبات حقه، كما كانت محوراً أساسياً لإثبات حق يوسف عليه السلام.

- عن عبد الله بن عجلان، قال: (ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: كيف لنا نعلم ذلك ؟ فقال عليه السلام: **يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب: طاعة معروفة اسمعوا وأطيعوا**)[2]، وهذه الصحيفة هي رؤيا رآها النائم قبل أن يستيقظ صباحاً.

- عن البيزنطي، قال: (سألت الرضا عليه السلام عن مسألة الرؤيا، فأمسك ثم قال عليه السلام: **إنا لو أعطيناكم ما تريدون لكان شراً لكم وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر**عليه السلام)[3]، أي أن الرؤيا مرتبطة برقبة صاحب هذا الأمر، أي أن الرؤيا دليل يدل المؤمنين على المهدي الأول.

---

(١) غافر: ٣٤.

(٢) منتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي: ص٣١١، كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٥٤.

(٣) قرب الإسناد: ص٣٨٠.

● عن أبي بكر الحضرمي، قال: (دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى، فقال: **اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح**) [١]، واجتماع أهل البيت عليهم السلام على رجل في زمن الظهور لا يكون إلا في الرؤيا.

إذن، فالحكمة من ذكر نبوة يوسف عليه السلام وعلاقته مع وحي الله، والرؤيا منه بالخصوص هو ليستفاد منها الناس والمؤمنون بالخصوص، فالسنة الإلهية لا تتبدل ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾[٢].

فالسجينان كانا مع يوسف عليه السلام وأحدهما مؤمن ونجا مع يوسف عليه السلام وفاز بخير الدنيا والآخرة، والثاني كافر وصلب وأكلت الطير من رأسه، وكذلك مع عيسى عليه السلام أو مع شبيه عيسى عليه السلام (المصلوب) بالخصوص تكرر السجينان وصلبا معه، وأحدهما مؤمن سقي من خمر الجنة بعد صلبه وموته، والثاني كافر صلب وأكلت الطير من رأسه، وهكذا تتكرر القصة على هذه الأرض، وتتكرر نفس المقدمات ونفس النتائج والمعطيات ولكن: ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[٣].

---

(١) كتاب الغيبة النعماني: ص٢٠٣، بحار الأنوار: ج٥٢ ص١٣٨ ١٣٩.

(٢) الفتح: ٢٣.

(٣) يّ س: ٣٠.

إضاءات

من دعوات المرسلين

الجزء الثالث القسم الثاني

إضاءات من مسيرة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين.

إضاءة السجن لماذا ؟!

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

يوسف عليه السلام الآن محاصر من أعداء الله، فإما الفاحشة وإما السجن، وهم الذين حددوا هذين الطريقين، ويوسف لم يخرج عن هذين الخيارين، ولكنه اختار ما يضره دنيوياً ومادياً، وهو السجن، دون ما يضره أخروياً وروحياً، وهو الفاحشة، خيار طبيعي، ولا أحد يتوقع سواه من وصي يعقوب عليه السلام النبي الرسول يوسف عليه السلام.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (... **ولي بيوسف عليه السلام أسوة، إذ قال رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ، فإن قلتم إنّ يوسف دعا ربّه وسأله السجن بسخط ربّه فقد كفرتم، وإن قلتم إنّه أراد بذلك لئلّا يسخط ربّه عليه فاختار السجن، فالوصيّ أعذر...**)[2].

ولكن السؤال: هل عند الله نجاة يوسف من كيدهن محصورة بالسجن، أم أنه توجد سبل متعددة لنجاته من كيدهن، دون أن يقع عليه أذى السجن ؟!

---

(١) يوسف: ٣٢ ٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٤٣٨.

أعتقد أن جواب هذا السؤال بسيطاً على من يعتقد أن السماوات والأرض لو كانتا على عبدٍ رتقاً واتقى الله لجعل له الله منهما مخرجاً.

ولو كان يوسف غفل عن هذه الحقيقة ﴿..... وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]، و لم يلتفت أن عند الله سبيلاً آخر، بل أكثر من سبيل غير السجن لنجاته من كيدهن.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: (**قال السجان ليوسف: إني لأحبك، فقال يوسف: ما أصابني بلاء إلا من الحب إن كانت عمتي أحبتني فسرقتني، وإن كان أبي أحبني فحسدوني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحبتني فحبستني، قال: وشكا يوسف في السجن إلى الله فقال: يا رب بماذا استحققت السجن، فأوحى الله إليه أنت اخترته حين قلت ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، هلا قلت العافية أحب إلي مما يدعونني إليه**)[2].

أوَ ليس الله بقادر على أن يُذكِّر يوسف عليه السلام بهذه الحقيقة، ويجعله يدعو بهذا الدعاء: (**العافية أحب إلي مما يدعونني إليه**)، بدل أن يقول: ﴿**السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾.

وهل يعتقد أحد أن يوسف لم يكن يعرف هذه الحقيقة، وهو الذي وكل أمره من قبل عندما كان في الجب إلى إله إبراهيم، و لم يختر هو الخروج أو البقاء.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**لما طرح إخوة يوسف يوسف في الجب دخل عليه جبرئيل وهو في الجب، فقال: يا غلام من طرحك في هذا الجب، فقال له يوسف: إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني، قال: فتحب أن تخرج منها، فقال له يوسف: ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قال: فإن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك: قل اللهم إني أسألك بأن فإن لك الحمد كله لا إله إلا أنت الحنان المنان بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ صل على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً**

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) تفسير القمي: ج١ ص٣٥٤، بحار الأنوار: ج١٢ ص٢٤٧.

وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، فدعا ربه فجعل الله له من الجب فرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وأعطاه ملك مصر من حيث لم يحتسب) [١].

فلماذا غفل الآن عن أن يقول: **(ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب)** ؟

وهل يعتقد أحد أن يوسف عليه السلام لا يستحق أن يذكره الله، أو أنه عليه السلام ليس أهلاً لذلك، أم هل يعتقد أحد أن في ساحته سبحانه وتعالى بخلاً عن أن يتفضل بتذكير وتعليم يوسف نبيه الكريم أن يدعو بهذا لينجو من المكر والسجن معاً، ألم يرسل سبحانه وتعالى جبرائيل عليه السلام ليُذكِّر يوسف ويعلمه الدعاء لينجو من الجب.

لماذا الآن الله سبحانه وتعالى الكريم الرؤوف الرحيم يترك يوسف عليه السلام في حيرته، ولا يُذكِّره ولا يُعلِّمه دعاءً ينجو به من المكر والسجن معاً ؟! لماذا الآن يوسف لا يجد أمام عينيه سبيلاً لنجاته من المكر إلا السجن ولا يجد إلا هذا الدعاء: ﴿**السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ ؟!!

إن هذا السؤال وغيره من الأسئلة في مسيرة يوسف عليه السلام يجيبه تعالى في آية عظيمة من آيات سورة يوسف، فيبين فيها تعالى أن كل سكنة وحركة وغفلة وذكرى وعلم وجهل هي ضرورية في مسيرة تمكين وتعليم يوسف عليه السلام، يقول تعالى في هذه الآية: أنا أمسك بمعصم يوسف عليه السلام وأقوده إلى التمكين والعلم والمعرفة ﴿**كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

إذن، فمن هذه الآية ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ نعرف أن دخول يوسف عليه السلام السجن واقع ضمن حكمة إلهية، وأكيد أنه يصبّ في تمكين يوسف وتعليمه، بل وأدائه لرسالته الإلهية.

أما تعلق السجن بتمكين يوسف وتعليمه، فقد تبين فيما مضى من الإضاءات، وأما تعلق دخول يوسف إلى السجن بأدائه لرسالته فهو ما أريد بيانه، ويتلخص في أمور منها:

---

(١) بحار الأنوار: ج١٢ ص٢٤٧.

(٢) يوسف: ٢١.

١ إنَّ يوسف عليه السلام إن كان قد صدع برسالته من الله خارج السجن و لم يتحصل إيمان أي شخص به، فلابد من إيجاد محيط آخر لتبليغ الرسالة.

٢ يوسف عليه السلام خارج السجن عبد مملوك، ولا شك أن حال العبد المملوك في داخل السجن أكثر حرية منه وهو في خارج السجن وتحت سلطة مولاه، فإنّ قيد العبودية أعظم من قيود السجن. فالسجن وفرَّ ليوسف وقتاً أكثر وجواً أكثر حرية ليصدع بدعوة التوحيد.

٣ في السجن الكل سواسية العبد المملوك والحر فلا أحد ينظر إلى يوسف على أنه عبد مملوك ولا يستحق السماع منه.

٤ تقبُّل الإنسان للدين والدعوة لطاعة الله سبحانه وهو في ضيق يكون أكبر بكثير منه مما لو كان في يسر وراحة، ولذا نجده تعالى يقول: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، أي يرجعون إلى الحق والى الله سبحانه، ولا شك أن السجن ضيق وعسر وشدة بالنسبة لأي إنسان، ولذا نجد أن دعوة يوسف إلى التوحيد ورسالته من الله سبحانه شقت طريقها إلى قلوب من كانوا في السجن، فتعاطف معه كثير منهم وآمن به السجين الذي نجا كما تقدم في الإضاءات، فلو لم يكن من دخول يوسف السجن إلا إيمان هذا السجين لكفى.

٥ دعوة يوسف إلى التوحيد شاملة لمن خارج السجن ومن في السجن، و لم يكن هناك طريق لإيصال دعوته عليه السلام إلى داخل السجن وبالصورة الصحيحة إلا دخول يوسف بنفسه إلى داخل السجن.

وأخيراً أقول: إن دعوة يوسف إلى التوحيد لم تجد لها موضعاً في المجتمع الذي كان فيه وهو خارج السجن، ولكنها شقت طريقها إلى قلوب الناس لما دخل يوسف عليه السلام السجن، وبدأت الدعوة إلى التوحيد من السجن بداية حقيقية، ولها من يؤمن بها وينتصر لها، وهذا السجين الذي آمن انتصر لدعوة يوسف الإلهية لَمَّا وجد الفرصة الملائمة من خلال رؤيا الملك، وهذا المؤمن عرض نفسه للخطر بحساب أهل المادة وهو يخالف ملأ الملك في رأيهم حيث ﴿قَالُوا

---

(١) الزخرف: ٤٨.

(٢) السجدة: ٢١ .

﴿أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾[١]، ثم يذكر يوسف في محضر الملك وملئه ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٢].

وأخيراً ذهب إلى السجن وخاطب يوسف عليه السلام المتهم والذي سجنه عزيز مصر وبمحضر السجانين بهذا الخطاب ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، ليس فقط يعلمون تأويل الرؤيا، بل يعلمون أيضاً بصدقك ورسالتك من الله، ويعلمون بالظلم الذي وقع عليك، لقد اضطر الإيمان هذا السجين إلى ذكر يوسف عليه السلام رغم الخطر المحتمل.

والنتيجة، فإن السجن كان المكان والظرف الذي شقت منه دعوة يوسف إلى التوحيد طريقها إلى قلوب كثير من الناس في مصر، ليؤمنوا بها ويوحدوا الله، بل وآمن بها بعض من كانوا في قصر الملك، واستمر الإيمان بالتوحيد الذي صدع به يوسف عليه السلام في مصر، بل وفي قصر ملك مصر حتى زمن رسالة موسى عليه السلام، وهذا مؤمن آل فرعون في زمن موسى عليه السلام يذكر يوسف عليه السلام كرسول من الله يؤمن به وبرسالته:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[٤].

---

(١) يوسف: ٤٤.

(٢) يوسف: ٤٥.

(٣) يوسف: ٤٦.

(٤) غافر: ٣٤.

إضـــاءة

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[2].

الآيات التي رافقت يوسف عليه السلام بإذن الله لم تكن عصا تتحول أفعى، و لم تكن يداً تشع نوراً و لم تكن بحراً ينشق، بل كانت قميصاً أظهر حق يوسف عليه السلام وكانت توفيقاً وتسديداً إلهياً لمسيرة يوسف عليه السلام، فمن هم وكم هم الذين يرون أن القميص الذي تمزق بل تمزقه بالذات كان آية ؟ وأين هم الذين يرون توفيق وتسديد الله ليوسف عليه السلام ليعرفوا انه مرسل من الله سبحانه ؟ تلك الآيات رافقت يوسف ورآها أولئك الذين رافقوا مسيرة يوسف عليه السلام، ولكنهم لم يروها كآيات، وكان أن قرروا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾، (**فالآيات شهادة الصبي والقميص المخرق من دبر واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إياه على الباب فلما عصاها فلم تزل ملحة بزوجها حتى حبسه،** ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ﴾[3]، يقول: **عبدان للملك احدهما خباز والآخر صاحب الشراب والذي كذب ولم ير المنام هو الخباز**)[4].

لم تكن هذه الآيات هي كل ما رافق دعوة ومسيرة يوسف عليه السلام، بل ما جاء به كل الأنبياء المرسلين عليهم السلام كدليل على الدعوة الإلهية التي كلفوا بها، جاء به يوسف عليه السلام، فهو لم يكن شاذاً عن المرسلين وعن طريقهم الواحد للدلالة على رسالاتهم، ﴿قُلْ مَا كُنْتُ

---

(١) يوسف: ٣٥.

(٢) غافر: ٣٤.

(٣) يوسف: ٣٦.

(٤) تفسير القمي: ج٢ ص٣٤٤.

بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[١] طريقهم المبين (**الوصية أو النص، العلم والحكمة، راية البيعة لله أو الملك لله أو حاكمية الله**)، هذه الآيات الثلاث البينة جاء بها يوسف عليه السلام ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾.

وقبل أن نعرف كيف ومتى وأين جاء بها يوسف عليه السلام، نحتاج إلى معرفة ما تمثله هذه الأمور الثلاثة في خط الدعوة الإلهية عموماً.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[٢].

دعوة الحق لا يمكن أن تكون وحدها، دون وجود دعوات باطلة تعارضها، فمنذ اليوم الأول الذي كان فيه نبياً يوصي لمن بعده بأمر الله سبحانه، وجدنا مدعياً مبطلاً يعارض دعوة الحق، فآدم عليه السلام أول أنبياء الله مبعثاً يوصي لهابيل عليه السلام، ويقوم قابيل بمعارضة دعوة الحق، وادعاء حق الخلافة، وحتى القربان الذي كان الفيصل في تحديد وصي آدم عليه السلام، لم يقبل به قابيل كآية دالة على هابيل وصي آدم، وأقدم قابيل على تهديد هابيل الوصي، ثم قتله دون تردد أو خوف من الله سبحانه: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٣].

وهذا حصل مع يوسف عليه السلام لما حسده إخوته.

---

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) لقمان: ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) المائدة: ٢٧ ـ ٣٠.

بل وجرى مع كل الأوصياء عليهم السلام، فكما أن الله سبحانه وتعالى يصطفي رسله، كذا فإن إبليس (لعنه الله) يختار من جنده من يعارض دعوة الحق.

فالله سبحانه وتعالى يختار هابيل عليه السلام، وإبليس (لعنه الله) يختار قابيل ليعارض داعي الله، والله يختار محمداً صلى الله عليه وآله، وإبليس يختار مسيلمة وسجاح والأسود وغيرهم ليعارضوا داعي الحق محمداً صلى الله عليه وآله.

وهنا أوجه السؤال: هل يُعْذَر من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وآله بحجة وجود أكثر من دعوة في الساحة، وأنه لا يستطيع تمييز المحق من المبطل؟!!!

والحق، إنه لا يعذر ويكون مصيره إلى جهنم تماماً كأولئك الذين اتبعوا من ادعوا النبوة أو الرسالة كذباً وزوراً.

ثم هل ان الله سبحانه وتعالى وضع قانوناً يعرف به داعي الحق في كل زمان وهو حجة الله على عباده وخليفة الله في أرضه وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، والإيمان به والتسليم له هو الإيمان بالله والتسليم لله والكفر به والالتواء عليه، هو الكفر بالله والالتواء على الله.

أم أن الله ترك الحبل على الغارب (حاشاه سبحانه وتعالى) وهو الحكيم المطلق وقدر كل شيء فأحسن تقديره، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[1]، وهو﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2].

فالنتيجة، أنّ مقتضى الحكمة الإلهية هو وضع قانون لمعرفة خليفة الله في أرضه في كل زمان، ولابد أن يكون هذا القانون وضع منذ اليوم الأول الذي جعل فيه الله سبحانه خليفة له في أرضه، فلا يمكن أن يكون هذا القانون طارئاً في إحدى رسالات السماء المتأخرة عن اليوم الأول، لوجود مكلفين منذ اليوم الأول، ولا أقل أن القدر المتيقن للجميع هو وجود إبليس كمكلف منذ اليوم الأول، والمكلف يحتاج هذا القانون لمعرفة صاحب الحق الإلهي، وإلا فإنه

---

(١) الرعد: ٨.

(٢) سبأ: ٣.

سيعتذر عن اتباع صاحب الحق الإلهي بأنه لم يكن يستطيع التمييز، ولا يوجد لديه قانون إلهي لمعرفة هذا الخليفة المنصب من قبل الله سبحانه وتعالى.

والقدر المتيقن للجميع حول تاريخ اليوم الأول الذي جعل فيه الله خليفة له في أرضه هو:

١. إن الله نص على آدم وانه خليفته في أرضه بمحضر الملائكة عليهم السلام وإبليس.

٢. بعد أن خلق الله آدم عليه السلام علَّمه الأسماء كلها.

٣. ثم أمر الله من كان يعبده في ذلك الوقت الملائكة وإبليس بالسجود لآدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١]، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٣]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[٤].

هذه الأمور الثلاثة هي قانون الله سبحانه وتعالى لمعرفة الحجة على الناس وخليفة الله في أرضه وهذه الأمور الثلاثة قانون سَنَّه الله سبحانه وتعالى لمعرفة خليفته منذ اليوم الأول، وستمضي هذه السنة الإلهية إلى انقضاء الدنيا وقيام الساعة.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[٥].

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[٦].

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) الأحزاب: ٦٢.

(٦) الفتح: ٢٣.

كما أنه وببساطة: أي إنسان يملك مصنعاً أو مزرعة أو سفينة أو أي شيء فيه عمال يعملون له فيه، لابد أن يُعيِّن لهم شخصاً منهم يرأسهم، ولابد أن ينص عليه بالاسم وإلا ستعمّ الفوضى، كما لابد أن يكون أعلمهم وأفضلهم، ولابد أن يأمرهم بطاعته ليحقق ما يرجو، وإلا فإن قَصَّر هذا الإنسان في أيٍ من هذه الأمور الثلاثة فسيجانب الحكمة إلى السفه، فكيف يُجوِّز الناس على الله ترك أيٍ من هذه الأمور الثلاثة وهو الحكيم المطلق ؟!!

وإذا تعرضنا إلى هذا القانون الإلهي بشيء من التفصيل نجد أن النص الإلهي على آدم عليه السلام تحول إلى الوصية لعلة وجود الخليفة السابق، فهو ينص على من بعده بأمر الله سبحانه وتعالى، وهذا من ضمن واجبه كخليفة لله في أرضه قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[1].

أما تعليم الله سبحانه لآدم الأسماء فالمراد منه معرفته بحقيقة الأسماء الإلهية، وتحليه بها وتجليها فيه، ليكون خليفة الله في أرضه. وهو عليه السلام أنبأ الملائكة بأسمائهم أي عرَّفهم بحقيقة الأسماء الإلهية التي خُلقوا منها، فالله سبحانه عرَّف آدم كل الأسماء الإلهية وبحسب مقامه عليه السلام، أما الملائكة فلم يكن كل منهم يعرف إلا الاسم أو الأسماء التي خُلق منها، وبهذا ثبتت حجية آدم عليه السلام عليهم بالعلم والحكمة.

والأمر الثالث في هذا القانون الإلهي هو أمر الله سبحانه وتعالى للملائكة وإبليس بالسجود لآدم، وهذا الأمر هو بمثابة ممارسة عملية للخليفة ليقوم بدوره كمستخلف، وممارسة عملية لعمال الله سبحانه (الملائكة) ليقوموا بدورهم كعمال ومتعلمين عند هذا الخليفة (آدم عليه السلام).

وهذا الأمر ثبّت أن حاكمية الله وملك الله في أرضه يتحقق من خلال طاعة خليفة الله في أرضه.

وهكذا فإن جميع المرسلين ومنهم محمد صلى الله عليه وآله كانوا يحملون هذه الراية: (**البيعة لله، أو حاكمية الله، أو الملك لله**)، ويواجهون الذين يقرون حاكمية الناس ولا يقبلون بحاكمية الله وملكه سبحانه وتعالى. وهم دائماً متهمون بسبب هذه المطالبة وهذه المواجهة، فعيسى عليه السلام

---

(١) النساء: ٥٨.

قيل عنه إنه جاء ليطلب ملك بني إسرائيل ليس إلا، وقيل عن محمد صلى الله عليه وآله: (لا جنة ولا نار ولكنه الملك) أي أنّ محمداً جاء ليطلب الملك له ولأهل بيته، وقيل عن علي عليه السلام إنه حريص على الملك.

والحقيقة، أنه من تابع أحوال عيسى أو محمد صلى الله عليه وآله أو علي عليه السلام يجد أنهم معرضون عن الدنيا وزخرفها وما فيها من مال أو جاه، لكن هذا هو أمر الله لهم بأن يطالبوا بملكه سبحانه وتعالى، ثم هم يعلمون أن الناس لن يسلموهم الملك بل سيتعرضون لهم بالسخرية والاستهزاء والهتك ومحاولة القتل أو السجن، فهذا شبيه عيسى عليه السلام يلبسونه تاجاً من الشوك وهم يسخرون منه قبل صلبه، وعلي عليه السلام يُكسَر باب داره ويُكسَر ضلع زوجته الزهراء ويُجر من داره والسيوف مشرعة بوجهه، وموسى بن جعفر عليه السلام الذي حدد فدكاً بأنها الملك وخلافة الله في أرضه يسجن حتى الموت، ومع هذا فانّ كثيراً من الجهلة جعلوا ما تشابه عليهم من مطالبة صاحب الحق بملك الله سبحانه وتعالى عاذراً لسقطتهم، وهم يصرخون بوجه صاحب الحق الإلهي إنه جاء ليطلب الملك ليس إلا، والحق إنه لو كان خليفة الله في أرضه طالباً للدنيا أو الملك لما طالب به أصلاً وهو يعلم أن هذه المطالبة ستكون حتماً سبباً لانتهاك حرمته والاستهزاء والتعريض به على أنه طالب دنيا.

ثم لسلك طريقاً آخر يعرفه كل الناس ولكنهم يتغافلون، وهو طريق كل أولئك الذين وصلوا إلى الملك الدنيوي بالخداع والتزوير أو القتل والترويع، فعلي عليه السلام يطالب بالملك ويقول أنا وصي محمد وأنا خليفة الله في أرضه، وفي المقابل ذاك الذي وصل إلى الملك الدنيوي أبو بكر بن أبي قحافة يقول: أقيلوني فلست بخيركم.

فهل أن علياً طالب دنيا أو أن ابن أبي قحافة زاهد بالملك الدنيوي وهو الذي أنكر حق الوصي عليه السلام وتنكر لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأجل الملك الدنيوي ؟! ما لكم كيف تحكمون؟!.

والوصية بالخصوص جاء بها كل الأوصياء عليهم السلام وأكدوا عليها، بل وفي أصعب الظروف نجد الحسين عليه السلام في كربلاء يقول لهم ابحثوا في الأرض لا تجدون من هو أقرب إلى محمد صلى الله عليه وآله مني (**أنا سبط محمد الوحيد على هذه الأرض**)، هنا أكد عليه السلام على الوصية والنص الإلهي

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، فالذين يفهمون هذه الآية يعرفون أن الحسين عليه السلام أراد أن الوصاية محصورة به عليه السلام لأنه الوحيد من هذه الذرية المستخلفة.

والآن، نعود إلى يوسف لنجد:

١ الوصية:

في قول يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

فيعقوب يبين أن يوسف عليه السلام وصيه وأنه امتداد لدعوة إبراهيم عليه السلام وبكل وضوح.

وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[٣]، فيوسف عليه السلام يؤكد انتسابه إلى الأنبياء عليهم السلام وأنه الخط الطبيعي لاستمرار دعوتهم عليهم السلام.

٢ العلم:

في قوله: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[٤].

وفي قوله: ﴿... تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[٥].

---

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) يوسف: ٦.

(٣) يوسف: ٣٨.

(٤) يوسف: ٣٧.

(٥) يوسف: ٤٧ ٤٩.

وفي قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١].

٣ البيعة لله:

في قوله ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) يوسف: ٣٩ ٤٠.

إضـــاءة

بعد أن عرفنا وجود قانون إلهي لمعرفة خليفة الله في أرضه، وهو مذكور في القرآن الكريم، بل وجاء به كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويوسف عليه السلام أيضاً جاء به، نحتاج أن ننتفع ونعمل بهذا القانون الإلهي في زمن الظهور المقدس (زمن يوسف آل محمد عليهم السلام)؛ لأن من لا يعمل بهذا القانون يكون من أتباع إبليس (لعنه الله) كما تبين.

وأنت تجد حتى في الإنجيل أن عيسى عليه السلام يؤكد على أن الأنبياء السابقين من بني إسرائيل قد ذكروه وبشروا به وأوصوا به، وكذا جاء بالعلم والحكمة، وأيضاً رفع راية البيعة لله وطالب بملك الله وحاكميته. ومحمد أيضاً أكد هذا الأمر وبيَّن أن الأنبياء السابقين ذكروه وبشروا به وأوصوا به، وأنه مذكور في التوراة والإنجيل، وجاء صلى الله عليه وآله ليُعلِّم الكتاب والحكمة، ورفع راية البيعة لله، وطالب بملك الله وحاكميته سبحانه وتعالى في أرضه.

وكذا آل محمد عليهم السلام، وتوجد أكثر من رواية عنهم عليهم السلام أكدوا بها هذا القانون الإلهي، لكي لا يضل شيعتهم[1]. ولكن للأسف مَنْ يدَّعون أنهم شيعتهم اختاروا في آخر الزمان الكفر بروايتهم والإعراض عنها وعن القرآن الكريم، واتباع العلماء غير العاملين، فأضلوهم وخلطوا عليهم الحق بالباطل، فلم يعد عندهم قانون لمعرفة الحجة من الله وخليفة الله، مع أن هذا القانون الإلهي لمعرفة الحجة من الله وخليفة الله والوصي الذي يمتحن به الناس موجود في القرآن الكريم، وقد بينته بوضوح لعل من يدعون أنهم شيعة آل محمد، وعامة أصحاب الأديان الإلهية، يلتفتون إلى هذا القانون فينقذون أنفسهم من النار.

---

(١) منها: عن عبد الأعلى، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الأمر، المدعي له، ما الحجة عليه ؟ قال: **يُسأل عن الحلال والحرام**، قال: ثم أقبل علي فقال: **ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، ويكون عنده السلاح، ويكون صاحب الوصية الظاهرة** ..) الكافي: ج١ ص٢٨٤ ح٢.

وعن الحرث بن المغيرة، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام بم يعرف صاحب هذا الأمر ؟ قال: **بالسكينة والوقار، والعلم والوصية**) بصائر الدرجات: ص٥٠٩.

وعن أبي الجارود، قال: (سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام بم يعرف الإمام ؟ قال: **بخصال: أولها نص من الله تبارك وتعالى عليه، ونصبه علماً للناس حتى يكون عليهم حجة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نصب علياً وعرفه الناس باسمه وعينه، وكذلك الأئمة عليهم السلام ينصب الأول الثاني، وأن يسأل فيجيب، وأن يسكت عنه فيبتدئ**..) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٤١.

إذن، فصاحب الحق الإلهي الوصي المعزي[١] لأنبياء الله ورسله، الذي يأتي في آخر الزمان إذا جاء بهذه الأمور الثلاثة، وهي:

الوصية: أي أن الماضين عليهم السلام أوصوا به ونصوا عليه بالاسم والصفة والمسكن، كما كانت الوصية بالرسول محمد من الأنبياء الماضين عليهم السلام اسمه، وبصفته أنه راكب الجمل، وبمسكنه فاران أي مكة وما حولها (عرفات)، والروايات الدالة على الوصي في آخر الزمان باسمه وصفته ومسكنه كثيرة.

وجاء أيضاً **بالعلم والحكمة** كما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله محمد بالعلم والحكمة، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[٢]، وهذا الرسول هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله المرسل في الأوليين من هذه الأمة.

ثم يقول تعالى: ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٣]، وهذا الرسول في الآخرين هو المهدي الأول من ولد الإمام المهدي عليه السلام، ومرسله هو الإمام المهدي عليه السلام، وأيضاً يعلمهم الكتاب والحكمة مما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وكان اسمه صلى الله عليه وآله في السماء أحمد، والمهدي الأول اسمه في الأرض أحمد وفي السماء محمد، فهو صورة لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله ويبعث كما بُعث محمد صلى الله عليه وآله، ويعاني كما عانى محمد صلى الله عليه وآله، فلابد من وجود قريش وحلفائها وأم القرى والهجرة والمدينة وكل ما رافق دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فقط المصاديق والوجوه تتبدل إنما هي وهم كتلك وأولئك.

---

(١) قال عيسى عليه السلام: (**وأما الآن فأنا ماضي للذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني أين تمضي، ولكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكن أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن انطلق؛ لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة، وعلى بر، وعلى دينونة. أما على خطيئة: فلأنهم لا يؤمنون بي)، وأما على بر: فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً)، وأما على دينونة: فلأن رئيس هذا العالم قد دين. إن لي أمور كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به**) إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) الجمعة: ٣.

أما الأمر الثالث: وهو **المطالبة بحاكمية الله والملك الإلهي**، فلابد أن يتحقق في الواقع المعاش بشكل يتوضح فيه صاحب الحق الإلهي وحكمته وعلمه ومعرفته بعاقبة الأمور. والحمد لله تم هذا بفضل الله سبحانه وتعالى، فكل أولئك العلماء غير العاملين دعوا إلى حاكمية الناس والانتخابات وشورى وسقيفة آخر الزمان إلا الوصي بفضل من الله عليه لم يرضَ إلا حاكمية الله وملك الله سبحانه، ولم يحد عن الطريق الذي بيَّنه محمد وآل محمد عليهم السلام، أما العلماء غير العاملين فقد خرجوا وحادوا عن جادة الصواب، وتبيَّن بفضل خطة إلهية محكمة أن رافع راية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله (البيعة لله) هو فقط الوصي.

أما مَنْ سواه فهم قد رفعوا راية الانتخابات وحاكمية الناس وهي بيعة في أعناقهم للطاغوت وبملئ إرادتهم، بل وهم قد دعوا الناس لها، وانخدع الناس بسبب جهلهم بالعقيدة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى، مع ان أهل البيت عليهم السلام قد بيَّنوا هذا الأمر بكل وضوح وجلاء، ودم الحسين في كربلاء خير شاهد على ذلك، وإن كانت فاطمة الزهراء لما نحى القوم الوصي علي عليه السلام خاطبتهم قائلة: (**أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم أنفساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً وزرعكم حصيداً. فيا حسرتي لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**) [١].

فهم اليوم علموا بأنفسكم غُبَّ ما سَنّوا، واحتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً.

فهل هذا الحال الذي أنتم فيه عذاب من الله سبحانه أم لا ؟!!!

في قرارة أنفسكم تقرون أنه عذاب من الله، ولكن تخافون أن تقروا بألسنتكم لئلا يقال لكم: فهذا أحمد الحسن مرسل من الإمام المهدي عليه السلام وهذه رسالة إلهية، والله يقول: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[٢].

---

(١) معاني الأخبار الشيخ الصدوق: ص٣٥٥ .

(٢) الإسراء: ١٥.

أما المعجزة المادية فهي لا يمكن أن تكون وحدها طريقاً لإيمان الناس، بل الله لا يرضى بهكذا إيمان مادي محض، ولو كان يَقبل لقَبل إيمان فرعون بعد أن رأى معجزة مادية قاهرة لا تؤول، وهي انشقاق البحر، ورأى كل شق كالطود العظيم، ولمسه بيده فقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

ولكن الله لا يرضى هذا الإيمان: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

وقد ترك الله بدن فرعون آية للناس ليتفكروا: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنَا لَغافِلُونَ﴾[٣]، ولكن قليل من انتفعوا بهذه الآية و ﴿كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنَا لَغافِلُونَ﴾.

كما أن المعجزة لا يمكن أن تكون لكل من يطلبها، و إلا لآمن الناس جميعاً إيماناً قهرياً اجبروا عليه بما يرون من قدرة قاهرة لا طاقة لهم على مواجهتها، ولن يكون هذا إلا استسلاماً للأمر الواقع وليس إسلاماً وتسليماً للغيب، والله سبحانه هو الغيب، ولعل من تدبر في معجزات الأنبياء يجدها جميعاً جاءت مشابهة لما انتشر في زمانهم، فموسى يأتي بالعصا التي تصبح أفعى في زمن فيه عشرات يلقون عصيهم فإذا هي أفعى كما يخيل للناس، وكذا عيسى جاء ليشفي المرضى في زمن انتشر فيه الطب، ومحمد صلى الله عليه وآله يأتي بالقرآن لقوم اشتهروا بالكلام والشعر، فالأمر وما فيه أنها جاءت كذلك للَّبس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾[٤].

وما هذا اللبس والمشابهة إلا لتكون هناك مساحة لتأول المتأولين الذين لا يؤمنون بالغيب، ولتبقى مساحة للإيمان بالغيب، و إلا فالإيمان المادي المحض ليس إيماناً، ولا إسلاماً، ولا يقبله الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٥].

---

(١) يونس: ٩٠.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) يونس: ٩٢.

(٤) الأنعام: ٩.

(٥) السجدة: ٢٩.

فالإيمان الكامل هو الإيمان بالغيب مائة بالمائة، وهو إيمان الأنبياء والأوصياء، وكلما كان الإيمان مشوباً بآية أو إشارة أو كرامة أو معجزة مادية، كان أدنى وأقل، حتى إذا كانت المعجزة قاهرة وتامة ولا يمكن تأويلها، عندها لا يقبل الإيمان والإسلام، كما لم يقبل إيمان وإسلام فرعون، لأن هكذا إيمان هو إيمان مادي مائة بالمائة.

والله وصف المؤمنين بأنهم:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١].

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[٢].

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[٤].

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[٥].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٧].

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) البقرة: ٣.

(٢) الأنبياء: ٤٩.

(٣) فاطر: ١٨.

(٤) يّ س: ١١.

(٥) قّ: ٣٣.

(٦) الحديد: ٢٥.

(٧) الملك: ١٢.

إضـــاءة

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[1].

في هذه الآية اتهم يوسف أخوته بالسرقة وعلى رؤوس الأشهاد ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، ويمكن القول إنه أراد أنهم سرقوه هو من أبيه، إلا أنه يجب الالتفات إلى أنهم أخذوا يوسف من أبيه بإذنه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، فإنه وإن كان يوسف أراد بتآمر أخوته لإبعاده عن أبيه بأنه سرقة، ولكنه أراد مع هذا سرقة أعظم وأخطر من هذه.

ثم إن يوسف عليه السلام حدد المسروق ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[3]، فالمسروق إذن محدد (صواع الملك)، والمتهم: (إخوة يوسف عليه السلام)، والسؤال هنا: كيف يتهم يوسف عليه السلام إخوته بسرقة صواع الملك، وهو يعلم أنهم لم يسرقوه، بل هو من وضعه في رحل أخيه بنيامين ؟ ويوسف لا يقف عند هذا الحد، بل يؤكد بأنه هو من يتكفل أمر اتهامهم بالسرقة ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، ثم يدافع إخوة يوسف عن أنفسهم أنهم لم يأتوا أرض مصر للسرقة، ولم يكونوا سارقين فيما مضى أو معروفين بهذا الخُلق السيء ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[4].

ويعود يوسف عليه السلام إلى التعريض بهم ويتهمهم هذه المرة بالكذب، فإن لم تكونوا جئتم هذه المرة للسرقة، فأنتم فيما مضى (كنتم سارقين)، فماذا أراد يوسف عليه السلام بـ (صواع الملك لا السقاية) !؟ ومن هو الملك صاحب الصواع ؟

---

(١) يوسف: ٧٠.

(٢) يوسف: ١٢.

(٣) يوسف: ٧١ ٧٢.

(٤) يوسف: ٧٣.

الحقيقة أنّ يوسف عليه السلام لم يتهمهم، بل هو متيقن أنهم سارقون، وبالتحديد كما قال هو عليه السلام: صواع الملك، بل وكما بيَّن في قوله: ﴿كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾[١] رداً على قولهم: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[٢]، والآن نعود إلى ما تقدم من مسيرة يوسف عليه السلام لنعرف ماذا أراد يوسف عليه السلام بالصواع، ومن هو الملك صاحب الصواع، وكيف أن يوسف هو المخوَّل بالصواع والكيل به للناس دون غيره ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، أو لو كان السؤال هكذا: ماذا سرق إخوة يوسف عليه السلام فيما مضى من مسيرته ؟

ربما لا يصعب الآن معرفة أن الصواع هو الولاية، أو قل خلافة الله في أرضه التي هي مقام أو منصب يوسف عليه السلام كونه وصي يعقوب عليه السلام، فقد سرقوا مقام يوسف عليه السلام ومنعوه أن يكيل للناس الهداية إلى الحق ومعرفة الحقيقة، أما صاحب الكيل الذي استخلف يوسف عليه السلام فهو الله سبحانه (الملك).

إذن، فاتهام يوسف عليه السلام لإخوته كان في مكانه، فهم سارقون وبالتحديد صواع الملك سبحانه وتعالى، وبالتحديد من يوسف عليه السلام المستخلف عليه.

وكلام الأنبياء عليهم السلام والملائكة عليهم السلام وهم ينظرون إلى ملكوت السماوات فهم يريدون بكلامهم ما في ملكوت السماوات، فكلامهم عن الحقائق وما هو معتبر عند الله سبحانه وتعالى، فالناس ينظرون إلى الدنيا والأنبياء ينظرون إلى الآخرة، لأنها محط نظر الله، فكلامهم في هذه الدنيا في كثير من الأحيان يريدون به الآخرة وما يتعلق بها، لأنها محط نظر الله (**وإن الله لم ينظر إلى عالم الأجسام منذ خلقه**)[٣].

وإذا انتقلنا إلى حادثة أخرى ربما تتوضح الصورة أكثر في مسيرة يوسف عليه السلام.

قال تعالى في قص حادثة امتحان داود عليه السلام: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ

---

(١) يوسف: من الآية ٧٤.

(٢) يوسف: من الآية ٧٣.

(٣) تفسير سورة الفاتحة الملا صدرا.

فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[١].

وهنا يجب الالتفات إلى أن التسوّر أي عبور الجدار لا يصح على من يقف في المحراب، لأنه ليس سوراً بل داخل بيت العبادة.

ثم إنّ مكان داود عليه السلام كان عليه حراسة شديدة، فلا يمكن اجتيازها؛ لأنه من ضمن الحرس ملائكة الله. ولذا فداود عليه السلام فزع منهم وهم طمئنوه ﴿قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[٢]. وكون المحراب (مكان الصلاة) هو مكان ظهور الخصمين، يدل على أنهما أتيا من جهة الله سبحانه وتعالى، أي من الغيب فهما ملكان وليسا إنسانين. فتسورهما من الآخرة إلى الدنيا من جهة العبادة (المحراب).

فالسؤال: كيف يدَّعي ملك أنه يملك نعاجاً، ومال الملائكة ومال النعاج ؟ ولماذا اختصما وما هي خصومتهما ؟

إذن، القضية ليست قضية نعاج، كما يتوهم من يسمع قصة الملكين مع داود عليه السلام، فالملائكة معصومون ولا يمكن أن يكون كلامهم فيه كذب، كما أنهم من عالم الملكوت فلا يمكن أن يكونوا رعاة أغنام ويختصمون في نعجة.

---

(١) ص: ٢١ ٢٦.

(٢) ص: ٢٢.

والحقيقة، أن الملكين جاءا لامتحان داود عليه السلام، كما أمرهم الله سبحانه وتعالى وأحدهما خُلِق من تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى، (**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**) [١]، فالملائكة خُلقوا من أسماء الله، كما قدمت فيما مضى من المتشابهات[٢]، وكل اسم جناح ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٣]، والثاني خُلق من اسم واحد من أسماء الله غير التسعة والتسعين، وتحت كل من هذين الملكين ملائكة، فهما قادة لملائكة دونهم، فصاحب التسعة والتسعين اسماً يقود تسعة وتسعين نوعاً من الملائكة، لأنه يعرف أسماءهم، ولا أقصد بالاسم هنا اللفظ أو المعنى، بل حقيقة الاسم الممكنة للمخلوق. وهذا الملك طلب من الملك الآخر أن يعلمه ويعرفه حقيقة اسم الملك الذي يقوده هو، وهذا يستلزم معرفة اسم الله الذي خلق منه الملك، وبما انه أي الملك صاحب التسعة والتسعين اسماً لم يكن مخلوقاً من هذا الاسم، فهو غير قادر على معرفته، لأن فطرته لم يودع فيها هذا الاسم. إذن، فهو غير قادر على قيادة الملك الذي يقوده الملك الثاني والذي خُلق من اسم يجهله الملك الأول.

وقد طلب الملك الأول من الملك الثاني تعريفه الاسم بأمر الله ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٤].

وعبّر الملك عن الملائكة التسعة والتسعين وعن الملك الذي يقوده بالنعاج؛ لأن الأغنام هي أكثر الحيوانات المرعية سلاسة في القيادة وطاعة لراعيها وقائدها، كما أن الملائكة سلسو القيادة ولا يعصون قائدهم، وهذا هو أسلوب إيصال العلم من الملكوت إلى هذا العالم الجسماني، وهو عملية التمثل بما هو موجود في هذا العالم، ليسهل فهم المعلومة والخبر الملكوتي،

---

(١) عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة** ..) التوحيد الشيخ الصدوق: ص١٩٤.

(٢) انظر: المتشابهات: الجزء الثاني/ جواب سؤال (٦٤).

(٣) فاطر: ١.

(٤) الأنبياء: ٢٧.

كما هو حال الرؤيا التي يريها الملائكة عليهم السلام لإنسان، فهم يستخدمون هذه الأمور النعاج للتعبير عن الرعية والأتباع، والشمس والقمر للتعبير عن الهادي، والشاي للتعبير عن الهم، وهكذا يستخدمون رموزاً من هذا العالم الجسماني لبيان المعاني، فالنعاج ترمز إلى ملائكة يقودهم هذان الملكان.

هذا بالنسبة لكلام الأنبياء والملائكة، أما القرآن فهو كلام الله سبحانه وتعالى والله ليس كمثله شيء، فكلامه سبحانه ليس ككلام البشر ولا تجري عليه قواعد كلام البشر، بل كلامه سبحانه ليس كمثله كلام كما أنه ليس كمثله شيء.

إضـــاءة

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾[1].

لماذا استعاذ يوسف بالله أن يأوي إليه أحدهم ؟ وما هو متاع يوسف ؟

ولو كان يوسف استعاذ بالله أن يأخذ إلا من كان عنده السقاية (الكيل)، فإنه أكد اتهـام بنيامين بأنه سارق بهذا الكلام، مع أن بنيامين لم يكن سارقاً.

فالحق، أن متاع يوسف عليه السلام شيء آخر غير السقاية والكيل، بل هو الولايـة لـولي الله والاعتراف بحاكمية الله والسجود لخليفته في أرضه.

ولم يكن موجوداً إلا في قلب بنيامين؛ لأنه لم يكن معهم أصلاً، ولم يشـترك في جريمـة اغتصاب مقام يوسف عليه السلام، فهو يقر لأخيه يوسف عليه السلام بأنه خليفـة الله في أرضـه. إذن، فمتاع يوسف موجود في قلب بنيامين؛ لأن متاع يوسف عليه السلام هو الدين والإيمان الحقيقي.

وكذلك المهدي القائم عليه السلام يقول: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، ومتاع المهدي القرآن، فهو ينتقي أصحابه وأنصاره ممن حملوا القرآن في قلوبهم، فلأنهم حملوا متـاع المهدي ولم يرضوا أن يكونوا شركاء في جريمة إقصاء القرآن وصاحبه المهدي، استحقوا أن يكونوا أصحاب وأنصار المهدي، ولم ولن يكون حملهم هذا هيناً أو خفيفاً في مجتمع جاهلي، أجمع علماؤه غير العاملين وجُهاله على طرد أو قتل أو إلقاء يوسف آل محمد المهدي عليه السلام في الجب.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصف حالهم هذا: (**.... نبذَ الكتابَ حملتُـهُ، وتناسـاهُ حفظتُهُ، فالكتابُ يومئذٍ وأهلُهُ طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريـقٍ واحـد لا يؤيهما مأوىً!! فالكتابُ وأهلُهُ في ذلك الزمانِ في الناسِ وليسا فيهم ومعهم، لأن الضلالَة لا توافقُ الهدى، وان اجتمعا، فاجتمعَ القومُ على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كأنهم أئمـةُ الكتابِ وليس الكتابُ إمامَهم! فلم يبق عندهم منه إلا اسمُهُ، ولا يعرفون آلا خطَهُ وزبرَهُ!!**

(١) يوسف: ٧٩.

ومن قبلُ ما مثلوا بالصالحين كلَ مثله وسموا صدقَهم على اللهِ فرية وجعلوا في الحسنةِ عقوبةَ السيئة) [١].

ويبقى أن نعرف من هذه الآية: ﴿**إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَه ...**﴾ أن سجود إخوة يوسف لم يكن إلا رجوعاً إلى الحق والاعتراف بحاكمية الله، وكون يوسف عليه السلام وصي يعقوب وخليفة الله في أرضه، أما سجود يعقوب فكان لتعليمهم وتعريفهم وتأكيد مقام يوسف عليه السلام، فكان يعقوب في سجوده ليوسف عليه السلام معلماً لإخوة يوسف عليه السلام.

فيوسف آوى أليه أخاه بنيامين وقربه منه، لأن متاع يوسف في قلب بنيامين، والآن أخوة يوسف عليه السلام حملوا متاع يوسف في قلوبهم وسجدوا مع الساجدين، وفشل إبليس (لعنه الله) في الاستمرار بغوايتهم.

فالنتيجة، أن يوسف آواهم إليه؛ لأن متاعه أصبح الآن عندهم وفي قلوبهم بعد أن اعترفوا بحق يوسف وبخطيئتهم ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[٢]، فهم الآن يعترفون أن الله اصطفى يوسف عليه السلام وصياً ليعقوب عليه السلام، بل ويقسمون على أن يوسف عليه السلام هو صاحب الحق الإلهي ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾.

وهذا حصل مع رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، بل وسيحصل مع المهدي ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾[٣].

قال علي عليه السلام لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله وكان سبق له هجاء في رسول الله صلى الله عليه وآله وإياه عارض حسان بقوله: ألا أبلغ أبا سفيان الخ .. قال عليه السلام:

(**ائت رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه.** ففعل

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ ص٤١.

(٢) يوسف: ٩١.

(٣) الفتح: ٢٣.

ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ثم قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أبياتاً منه في الاعتذار من رسول الله ﷺ منها:

هداني هاد غير نفسي ودلني ... على الله من طردته كل مطرد

أصد وأنأى جاهلاً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد) [١].

وعن المفضل بن محمد، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٢]، فقال عليه السلام: **هذه نزلت فينا خاصة إنه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقر للإمام بإمامته كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالوا ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا﴾**) [٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٢٥٩.

(٢) النساء : ١٥٩.

(٣) تفسير العياشي: ج١ ص٢٨٤.

إضاءة من علم يعقوب

يعقوب عليه السلام أو إسرائيل عليه السلام نبي مرسل ويعلمه الله ما يشاء من علم الغيب، والآن إخوة يوسف عليه السلام يريدون أخذ بنيامين أخي يوسف عليه السلام معهم إلى مصر، فإذا بيعقوب عليه السلام يقول: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[1].

فيعقوب كأنه يعلم أن بنيامين إذا ذهب مع إخوته لا يعود معهم، بل ما يؤكد علمه بذلك استثنائه لحالة عجزهم عن إعادة بنيامين معهم ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾، بل إن يعقوب عليه السلام لما عاد إخوة يوسف عليه السلام من غير بنيامين وهم يؤكدون على براءتهم ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾[2].

بل ويوجد من يشهد ببراءتهم ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[3]، نجده عليه السلام يقول: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[4]، فيعقوب يؤكد اتهامهم، مع أنه لم يؤكد بدون براءتهم ويوجد شهود على براءتهم في قصة بنيامين.

فماذا أراد يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾؟!!

الحقيقة، إن يعقوب عليه السلام أراد الأمر الأول أمر يوسف عليه السلام، وكأنه يريد أن يقول هذا الحدث الجديد وهو فقد بنيامين متعلق بفقد يوسف عليه السلام والذي كان وصفه بنفس الوصف ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[5]، سولت لكم أنفسكم الأمارة والذئب المستعر في أنفسكم

---

(١) يوسف: ٦٦.

(٢) يوسف: ٨١.

(٣) يوسف: ٨٢.

(٤) يوسف: ٨٣.

(٥) يوسف: ١٨.

ذلك الأمر القديم أمر يوسف عليه السلام، وأمر بنيامين متعلق بأمر يوسف عليه السلام، ولذا نجده يكمل قوله عليه السلام: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(١).

ثم ها هو بعد فقده لبنيامين لا نجده يتأوه على بنيامين، بل على يوسف عليه السلام ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٢)، ليؤكد أن أمر بنيامين متعلق بيوسف عليه السلام.

إذن، يعقوب كان يعلم بحال يوسف عليه السلام وحال بنيامين معه، ويعلم بالأذى الذي تعرض له يوسف عليه السلام وكونه عليه السلام وحيداً في مصر حمل كلمة الله ودين الله سبحانه، بل لو قرأت هذه الآيات بتمعن لوجدت يعقوب عليه السلام مطلعاً ويعلم الكثير من حال يوسف عليه السلام وبنيامين عليه السلام ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، فمع أن المفقود هذه المرة بنيامين، تجد يعقوب عليه السلام يقول: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(٤)، ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، وفي النهاية يأمرهم بالبحث عن يوسف عليه السلام ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، وكأن فقد بنيامين فتح باباً ليعود يوسف عليه السلام إلى يعقوب، وكأن يعقوب يعلم هذا، بل هو على يقين ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾(٥).

---

(١) يوسف: ٨٣.

(٢) يوسف: ٨٤.

(٣) يوسف: ٨٤ ٨٧.

(٤) يوسف: ٨٣.

(٥) يوسف: ٩٤.

إضـــاءة

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

لقد علم يعقوب عليه السلام من الله أن بنيامين سيُفقد كما فُقد يوسف عليه السلام، ولذا أخذ عليهم عهداً أن يعيدوا بنيامين واستثنى ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾[2] وكان يعلم أنه سيحاط بهم، بل وفي هذه الآية: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أراد تفرقتهم لعل بنيامين ينجو ويعود إليه؛ لأنه يُعرف بإخوته وهم عدد يلفت الأنظار.

ومع هذا، فإن يعقوب يعلم أنه لن ينفعهم بهذا كثيراً؛ لأن مشيئة الله كائنة، ولم يكن تعليم يعقوب لأبنائه ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، ولكن ماذا ينفع حذر يعقوب أمام تقدير وقضاء الله سبحانه وتعالى ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[3].

ويعقوب عليه السلام يعلم هذا أيضاً ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، ولكن أراد أن لا يهمل العمل بالممكن للحفاظ على بنيامين، والنتيجة فإن مشيئة الله هي الكائنة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وبعد هذا كله فإنّ يعقوب ذا علم ومعرفة من الله سبحانه وتعالى، وقد عمل على قدر علمه ومعرفته ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) يوسف: ٦٧.

(٢) يوسف: ٦٦.

(٣) يوسف: ٦٨.

(٤) يوسف: ٦٨.

ولكن فوق يعقوب ذي العلم يوسف عليه السلام العليم، فكانت النتيجة أنه (آوى إليه أخ ـاه)، و لم ينفع تدبير يعقوب عليه السلام ليعود إليه بنيامين ﴿**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[1].

(١) يوسف: ٧٦.

إضاءة

دعوة يوسف عليه السلام في مصر لماذا ؟!

إجابة هذا السؤال تفتح الباب لمعرفة الحكمة من اختيار مكان بعث الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأيضاً لمعرفة الحكمة من نقل يوسف عليه السلام من حضن أبيه إلى أرض مصر، وأيضاً لمعرفة المهمة الأولى التي تكفلها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، فالإجابة على هذا السؤال حجر مبارك يصيب ثلاثة عصافير وربما أكثر لا كما يقول المثل عصفوران بحجر.

ويبدأ الجواب من العودة إلى أول خليفة لله في أرضه وهو آدم عليه السلام، وهذا أجمع عليه أصحاب الديانات الإلهية، وفي القرآن: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

هذه الخلافة التي رفضها إبليس (لعنه الله) وتابعه على هذا الرفض أكثر بني آدم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2]، وتشكلت على طول الخط جهتان، جهة الحق يمثلها خليفة الله في أرضه ومن تبعه، وجهة الباطل ويمثلها المنكرون لخليفة الله في أرضه، وهم الحكام والعلماء غير العاملين ومن تبعهم.

وبما أنّ خليفة الله في أرضه آدم عليه السلام ومن خلفه من الأوصياء من ذريته، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3] يمثلون الله في الأرض، فحكمهم حكم الله وأمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[4].

فقد تشكلت جبهة من جبهات الباطل تواجه الأوصياء في صميم دعوتهم وادعاءهم عليهم السلام، حيث ادعى هؤلاء الدجالون أنهم خلفاء الله في أرضه، وهم أصناف كثيرة منهم من ادعى النبوة الباطلة أو الإمامة الباطلة أو الملك الباطل، أي أنهم ادعوا أنهم من الله ويمثلون الله، بينما هم من الشيطان ويمثلون الشيطان، وخدعوا كثيراً من الناس، واتبعهم كثير من الناس، ولهذا

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الحجر: ٤٢.

(٣) آل عمران: ٣٤.

(٤) النجم: ٣ ٤.

جاء الأنبياء ليدافعوا عن الخط الإلهي الحقيقي ودعوة الله الحقيقية، وبينوا للناس حقهم، وان هؤلاء الدجالين مغتصبون لحقهم وتقمصوا مراتبهم عليهم السلام.

ولعل من أخطر هؤلاء المدعين هم الفراعنة في مصر؛ لأنهم ادعوا أنهم هم السلالة المباركة الطيبة من ذرية آدم عليه السلام، وأن خلافة الله فيهم، بل هم ادعوا أنهم فوق مستوى البشر وأن لهم مرتبة من مراتب الألوهية على بقية بني آدم عليه السلام، فيجب أن يطيعهم كل الناس طاعة عمياء دون تفكر أو تدبر في حالهم المخزي وسلوكهم المنحرف عن تعاليم الدين الإلهي.

ولهذا كان لابد من مواجهة هذا التحريف والانحراف وفضح رموزه وبيان الحق وأهله، فكان يوسف عليه السلام النبي المرسل هو المختار من الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة الشاقة وذات الشوكة.

ولهذا نُقل يوسف عليه السلام إلى مصر ليواجه هؤلاء المدعين، ويبين الحق ويفضحهم ويمهد الطريق لقائم آل إبراهيم عليه السلام موسى عليه السلام، وقد نجح يوسف عليه السلام نجاحاً عظيماً وكبيراً لا نجد نتائجه في عصر يوسف عليه السلام وعند عامة الناس فقط، بل نجد نتائجه المباركة بعد مئات السنين في عصر موسى عليه السلام وفي قصر فرعون بالذات.

وهذا مؤمن آل فرعون في عصر موسى عليه السلام وهذا خطابه: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**﴾[1].

إذن يوسف عليه السلام نُقل إلى مصر ليحقق مهمة إلهية كبرى، فمكان بعثة يوسف عليه السلام مصر التي كانت تمثل مركز دعوة الشيطان في ذلك الزمان، وعندما تُحارب العدو في عقر داره وتنتصر فهذا يدل على القوة والهيمنة التي تملكها، وهي قوة وهيمنة الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، القادر أن يجعل يوسف عليه السلام الصبي الصغير يهدم مملكة الشيطان ويسيطر عليها، ويهدي الكثير من أهلها إلى الحق.

---

(١) غافر: ٣٤.

فهو في مصر يخاطب أهلها الذين يتبعون الفرعون، ويعتبرونه خليفة الله في أرضه، بل ممثل اللاهوت في الأرض بهذا الخطاب: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[1].

ومع أنّ الثابت والمعروف تاريخياً أن الفراعنة لعنهم الله كانوا يروجون للعالم الآخر ووجوده، ولكن في الحقيقة لم يكن ترويجهم عن إيمان ويقين بالآخرة، بل كانوا يروجون له على أنهم أسياده وملوكه وحكامه، ولن يكون نصيب فيه إلا لمن يتبعهم ويشايعهم، ولهذا يوسف عليه السلام بيَّن هذه الحقيقة بكل وضوح، أنهم ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وأنهم ﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، فهم يدَّعون الإيمان لينتفعوا به دنيوياً ويهيمنوا من خلال ادعائهم على الناس بالخداع والدجل.

ثم إنّ يوسف عليه السلام لا يكتفي بفضح المدعين والدجالين، بل يُبيّن أصحاب الحق لأهل مصر وأيضاً بكل وضوح ويسميهم بأسمائهم، بل ويُبيّن انتسابه لهم، مع أن المفروض أنه غير معروف النسب، بل صبي التقطه بعض السيارة. ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[2].

ويُبيّن يوسف عليه السلام العقيدة الحقة، وأنها عقيدته وعقيدة آبائه الأنبياء عليهم السلام ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾.

ويستمر في فضح الفراعنة وأن ربوبيتهم ربوبية باطلة لا تنبع من ربوبية الله سبحانه وتعالى، ولا علاقة لها بربوبية الله سبحانه وتعالى ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3].

---

(١) يوسف: ٣٧.

(٢) يوسف: ٣٨.

(٣) يوسف: ٣٩.

ثم يختم يوسف عليه السلام دعوته إلى الحق ببيان أصل دعوة أهل الباطل وعدم ارتباطها بالله سبحانه وتعالى ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

إذن، التفتوا .. هؤلاء الفراعنة (الدجالون والعلماء غير العاملين والحكام) دعوتهم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ لأنها قوانين وأسماء وضعها الناس، وما يضعه الناس إن لم يكن من الله فهو من الشيطان وعبادة للشيطان ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾.

وكما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله: (**من استمع إلى ناطق فقد عبده، فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان**) [٢].

أما إن كنتم تطلبون الحق فهو في (الملك لله) وحاكمية الله ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، هذا هو الدين الحق الذي يرضاه الله وإن جهله الناس ولم يرضوه ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾، هذا هو الحق بيَّنه يوسف عليه السلام بخير بيان.

والله بيَّن أن الملك له سبحانه وتعالى، وهو الذي يُعِزّ وينصب من يشاء، وليس للناس الاعتراض أو تنصيب من يشاؤون أو اغتصاب الملك:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[٤].

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) انظر: الكافي: ج٦ ص٤٣٤ ح٢٤، وسائل الشيعة (آل البيت): ج٢٧ ص١٢٨ ح١٣.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) الفرقان: ٢.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ثم هو سبحانه يسألهم سؤال مستنكر لعملهم في الاستحواذ على الملك وإقصاءهم لخلفاء الله في أرضه الأنبياء والأوصياء أو كما سماهم سبحانه (النَّاسَ)، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[٢].

يا له من سؤال، ويا له من سائل، ويا له من خزي للمسؤولين، فبماذا سيجيبون ؟! هل سيقولون إن الملك لهم وليس لله، أم سيقولون إنهم شركاء لله في ملكه ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ ؟؟

حقاً، إنه خزي وعار لمن نصبوا أنفسهم، ولمن نصبوا غيرهم (بالانتخابات والشورى)، لمن ادعوا بعملهم أن الملك لهم لا لله، ولمن ادعوا بعملهم أنهم شركاء لله في ملكه.

فإن كانوا يريدون الخلاص من هذا الخزي أمام الله فليعترفوا أن الله يؤتي ملكه من يشاء، وقد شاء الله أن يكون ملكه في آل إبراهيم عليهم السلام، ثم آل محمد عليهم السلام وهم من آل إبراهيم عليهم السلام، ثم في آل محمد بن الحسن المهدي عليه السلام وهم من آل محمد عليهم السلام وهم من آل إبراهيم عليهم السلام.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[٣].

---

(١) الملك: ١.

(٢) النساء: ٥٣.

(٣) النساء: ٥٤.

إضاءة من قميص يوسف عليه السلام

كان في قميص يوسف عليه السلام:

١. سبب نجاته؛ لأن فيه وجد إخوة يوسف عليه السلام طريقة لملكهم دون قتله عليه السلام، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[١].

٢. الدليل على براءة يوسف عليه السلام من تهمة الفاحشة.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣].

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٤].

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٥].

٣. إنه آية عاد بها البصر ليعقوب، وما تلا هذا من انتقال بني إسرائيل إلى مصر لتمهيد الأرضية الملائمة لقائم آل إبراهيم موسى عليه السلام. ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٦].

٤. وأخيراً فالقميص أصبح سبباً لإنصاف يعقوب عليه السلام من تهكم بنيه، فكم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٧]، و﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٨]، لكن ﴿لَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

---

(١) يوسف: من الآية ١٨.

(٢) يوسف: ٢٥.

(٣) يوسف: ٢٦.

(٤) يوسف: ٢٧.

(٥) يوسف: ٢٨.

(٦) يوسف: ٩٣.

(٧) يوسف: ٨٥.

(٨) يوسف: ٩٥.

لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١]، عندها ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾[٢].

كل هذا في قميص يوسف عليه السلام.

فما سرّ هذا القميص حتى أصبح موضعاً لتجلي الفيض الإلهي وآيات الله سبحانه وتعالى؟

الحق، إنه قميص لامس ذاك القلب النقي الطاهر الملائكي الملكوتي، قلب يوسف عليه السلام الذي تلقى كلمات الله بالرؤيا الصادقة، وكان يوسف عليه السلام صبياً صغيراً، وآمن هذا القلب الطاهر بكلمات الله و لم يكفرها.

إنّ كرامة هذا القميص هي أنه لامس قلب يوسف ليس إلا، هذا هو سر القميص، ففي كل تلك الآيات كان هذا القميص شاهداً عدلاً يشهد بنقاء قلب يوسف وطهارته، هذا القميص تكلم ولكن بالأفعال لا بالأقوال، وما أحوج الناس ليتعلموا من قميص يوسف عليه السلام الصدق والأمانة وقول الحق وإعطاء كل ذي حق حقه، ويتعلموا ترك الحسد والأنا والأخلاق الذميمة.

والآن، لنضع قميص يوسف هذا الجماد في مقابل أناس التصقوا بيوسف عليه السلام وعرفوا يوسف عليه السلام كما التصق وعرف القميص يوسف عليه السلام، ولنرى كم أن الناس كانوا ظالمين ليوسف عليه السلام، وكم أن القميص كان منصفاً عادلاً مع يوسف عليه السلام، وكم خذل الناس يوسف عليه السلام، وكم أعان وأغاث القميص يوسف عليه السلام، وكل مرة كان الناس والقميص يتبدلون، ولكن دائماً كان القميص ينصف ويعين يوسف عليه السلام، وكان الناس يظلمون ويخذلون يوسف عليه السلام.

لم يكن للقميص قصة كما كانت مع يوسف عليه السلام، فجدير بنا أن نعرف ماذا أراد الله أن يخاطب الإنسان من خلال هذا القميص، ونتعلم من هذا الخطاب الإلهي الذي تجلى في قميص يوسف في كل مرة وكل موقف.

ثم لماذا القميص بالذات، وليس لباساً آخر لامس جسد يوسف عليه السلام ؟!

الحقيقة، لأن القميص كان إشارة واضحة لقلب يوسف عليه السلام، فكان الذي ينجي يوسف

---

(١) يوسف: ٩٦.

(٢) يوسف: ٩٧.

عليه السلام هو نقاء قلبه وإخلاصه لله سبحانه وتعالى، فكان الله في قلب يوسف عليه السلام، وكلم الناس بقميص يوسف عليه السلام. كان تعالى في كل تلك الآيات يقول أنا في قلب يوسف عليه السلام، والقميص مسني كما مس يوسف عليه السلام. كان تعالى يقول من خلال قميص يوسف عليه السلام: (**يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظُلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك**) [١].

فإن وقعت في بئر عميق أنا أنجيك، وإن مكر بك أهل السوء والفحشاء فأنا ناصرك، وإن أردت إحياء الموتى وشفاء المرضى فأنا المشافي المحيي أعطي نفسي لمن يذكرني. فأنا في قلب من ذكرني يمسني قميصه كما يمس قلبه.

وبعد سنين من قصة القميص المعجزة، قميص الآيات الإلهية، تأتي آية أخرى: يد موسى البيضاء للناظرين، وهي لا تخرج بيضاء إلا بعد أن تمس قلب موسى عليه السلام، ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[٢]. وكأنها تُخرج ما في قلب موسى عليه السلام، لينظر إليه الناس بياضاً ناصعاً وطهارة ونقاءً وعدلاً ونوراً يملأ الخافقين. وهي أيضاً تمس الذي في قلب موسى عليه السلام الله سبحانه وتعالى، لتخبر عنه سبحانه وتعالى أنه هو الذي في قلب موسى، وهو الذي أرسل موسى عليه السلام.

كما كان القميص من قبل يخبر الناس أن الله في قلب يوسف عليه السلام، وأنه هو سبحانه وتعالى الذي أرسل يوسف عليه السلام ونصبه خليفته في أرضه.

هذا القميص الآية المعجزة، كم من آية من آيات الله هي كهذا القميص، يمر عليها الناس غافلين معرضين عنها، فلو كانوا يطلبون الحق لعرفوه ولتجلى لهم في الشجر والحجر وفي كل شيء يقع عليه بصرهم أو يطرق آذانهم، ولرأوا الحق في قميص يوسف عليه السلام، ويد موسى عليه السلام في ذلك الزمان وفي هذا الزمان، لكنهم معرضون عن الحق ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[٣].

هذه إضاءة من قصة قميص يوسف، فليتدبرها الناس وليتعلموا من قميص يوسف عليه السلام،

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٤ ح١٠.

(٢) طه: ٢٢.

(٣) يوسف: ١٠٥.

وإن لم يقبلوا السماع من يوسف فليسمعوا من قميص يوسف عليه السلام وقلب يوسف والذي في قلب يوسف ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

إنها حسرة ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[٢]، وإنه لأمر محزن أن ينصف ويعين يوسف عليه السلام في ذلك الزمان وهذا الزمان كل شيء حتى القميص إلا الناس.

وأخيراً أقول: إذا وصل الأمر إلى أن يتكلم الجماد (قميص يوسف)، ثم إنّ الناس لا يسمعون ولا يعون ولا يتدبرون آيات الله، بل هم معرضون مستهزؤون فإنّ الله ينذرهم بأسه الذي لا يُرد. بعد أن تكلم قميص يوسف في آخر قصة يوسف التي خُتمت بكلام القميص عندما رَد البصر ليعقوب، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٣]، فهل من عاقل ينجي نفسه من العذاب في الدنيا والآخرة، فيسمع ويرى بعد أن كان أصماً وأعمى آيات الله في كل شيء وهي تشير إلى الحق وإلى صاحب الحق.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤].

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) يّ س: ٣٠.

(٣) يوسف: ١١٠.

(٤) يوسف: ١٠٨.

إضاءة

قصة يوسف عبرة في زمن الظهور المقدس

سورة يوسف تفتتح بـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1].

وتختتم بـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وبينت فيما مضى من الاضاءات أن قصة يوسف عليه السلام مدارها الرؤيا، فيوسف النبي يرى رؤيا، والسجين يرى رؤيا، وفرعون يرى رؤيا، وكلها رؤى من الله بغض النظر أن من رآها نبي أو كافر، والله سبحانه وتعالى عبَّر عن هذه الرؤى التي قصها في سورة يوسف عليه السلام والتي كانت مدار قصة يوسف عليه السلام وتمكينه من ملك مصر بأنها ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

والآن، لنبحث في آخر آية من سورة يوسف لنعرف ماذا أراد الله من هذه القصة وهذه الرؤى التي قصها على النبي محمد ﷺ، وبالتالي على من يؤمن بهذا النبي الكريم ﷺ وما جاء به ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

إذن، في هذه القصة منفعة، بل ومنفعة كبرى معتبرة، فالمفروض أن الإنسان يعتبر بغيره إذا وقع في حفرة فيجتنب طريقه وسلوكه لئلا يقع في نفس الحفرة، هذا هو المفروض.

أما الواقع فإن المعتبرين الذين تنفعهم قصة يوسف عليه السلام هم ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ولب الإنسان قلبه وباطنه، فأصحاب القلوب النيرة بنور الله، والطاهرة بقدس الله، هم المنتفعون من قص هذه الرؤى، وهذه المسيرة النبوية الكريمة.

أما أصحاب البواطن السوداء المظلمة فهم ليسوا من أولي الألباب؛ لأن قلوبهم خاوية، فالظلمة عدم، ولا شيء في بواطنهم ليقال عنه لب.

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) يوسف: ١١١.

فالمفروض أن تكون قصة يوسف عليه السلام عبرة لكل إنسان، ولكن الواقع أنها لن تكون عبرة إلا لمن يؤمنون بملكوت السماوات، وبالتالي يصدقون كلام الله الآتي في المستقبل، ولا يقولون عنه إنه من الشيطان.

يصدقون كلام الله الذي سيأتي مع يوسف آل محمد عليهم السلام، الذي سيأتي في المستقبل بين يدي محمد صلى الله عليه وآله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

فليست قصة يوسف عليه السلام ولا الرؤى التي رآها يوسف عليه السلام والسجين وفرعون، حديثاً يفترى من الشيطان، بل هي من الله، فلتكن لكم بها عبرة ومنفعة لئّلا تعثروا وتقعوا في الحفرة عندما يأتي يوسف آل محمد عليهم السلام، فلم تكن هذه القصة التي سماها الله بأحسن القصص إلا ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي تصديق الذي سيأتي بين يدي محمد صلى الله عليه وآله، أي في المستقبل بعد محمد صلى الله عليه وآله، وهو يوسف آل محمد.

و لم يكن في هذه الرؤى والقصة تفصيل بعض الأمور التي تخص يوسف آل محمد، بل إن فيها ﴿تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وبالتالي فإن هذه القصة ستكون ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿وَلِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، لا لمن سواهم في زمن ظهور يوسف آل محمد عليهم السلام القائم المهدي ﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾.

فهؤلاء سيرون بنور الله أن زليخا (امرأة العزيز) [1] هي الدنيا والملك الدنيوي ستقبل على آل محمد وعلى يوسف آل محمد، ولكنه لا يرضاها إلا بالطريق والسبيل الذي يريده الله، وهو التنصيب الإلهي وحاكمية الله.

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**استأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت: إني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيد، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً، قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك؟ قالت حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبياً يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً واسمح مني كفاً. قالت: صدقت، قال: وكيف علمت إني صدقت، قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي. فأوحى الله عز وجل إلى يوسف إنها قد صدقت وإني قد أحببتها لحبها محمداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها**) علل الشرائع الشيخ الصدوق: ج١ ص٥٥.

وسيكون رفض يوسف آل محمد للزنا والطريق غير المشروع عند الله (حاكمية الناس) سبباً لعنائه في بادئ الأمر، كما كان رفض يوسف عليه السلام للزنا سبباً لسجنه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (**لتعطفن علينا الدنيا بعد شماسها عطف الظروس على ولدها**، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[١]) [٢].

وهكذا سيجد أولوا الألباب في قصة يوسف عليه السلام تفصيل كل شيء عن يوسف آل محمد، وبهذا أترك ﴿**لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ و﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ أن يستضيئوا من قصة يوسف وما فيها بقراءتها وتدبرها، ومن الله التوفيق.

﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[٣].

إلهي إن عظيم ذنبي كف يدي عن انبساطها إليك، وكثرة ودوام تقصيري سوّدا وجهي عندك، فاغفر ذنبي وبيض وجهي فإنه لا سبيل لذلك إلا فضلك ومنك، وعطاؤك الابتداء، وأنت تعلم أني لا أريد بذلك إلا أن أكون أهلاً أن أقف بين يديك وأحمدك وحدك لا شريك لك على كل نعمة أنعمت وتنعم بها عليَّ وعلى والديَّ وعلى كل أحد من خلقك.

إلهي وعزتك وجلالك وعظمتك، لو أني منذ بدعت فطرتي من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة وكل طرفة عين سرمد الأبد بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين، لكنت مقصراً في بلوغ أداء شكر أخفى نعمة من نعمك عليَّ، ولو أني كربت معادن حديد الدنيا بأنيابي، وحرثت أرضها بأشفار عيني، وبكيت من خشيتك مثل بحور السماوات والأرضين دماً وصديداً، لكان ذلك قليلاً في كثير ما يجب من حقك عليَّ، ولو أنك إلهي

---

(١) القصص: ٥.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٠٩، بحار الأنوار: ج٥١ ص٦٤.

(٣) يوسف: ١١١.

عذبتني بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين، وعظمت للنار خلقي وجسمي، وملئ ت جه نم وأطباقها مني حتى لا يكون في النار معذب غيري، ولا يكون لجهنم حطب سواي، لكـ ان ذلك بعدلك عليَّ قليلاً في كثير ما استوجبته من عقوبتك.

إلهي فمع عظيم ما استحق من عقوبتك بعدلك، تفضلت عليَّ وجعلتني انطق بحمدك وأذكر أسماءك وأسماء سادتي من الأوصياء عليهم السلام أنبياءك ورسلك عليهم السلام الذين أتشرف أن أكون حفنة تراب تحت أقدامهم المباركة، إلهي فاغفر لي وأقل عثرتي واجعلهم يغفرون لي ويقيلون عثرتي.

المذنب المقصر

أحمد الحسن

١٤٢٧هـ.ق

فهارس الأجزاء الثلاثة

الجزء الأول

الإهداء	٧
إضاءات من دعوة نوح	٩
إضاءات من محاججة نوح مع قومه	١١
إضاءة من دعوة إبراهيم	١٣
إضاءة من دعوة إبراهيم ونوح	١٥
إضاءات من دعوة موسى عليه السلام	١٦
إضاءات من دعوة عيسى عليه السلام	١٩
إضاءات من دعوة محمد ﷺ	٢٢

الجزء الثاني

إضاءة الرسول والعذاب	٢٧
إضاءة من بين يدي العذاب	٢٩
إضاءة من كلمات المرسلين مع المعَذَبين	٣٢
إضاءة من المعجزة والعذاب	٣٥
إضاءة من أسباب العذاب	٤١
إضاءة من مقدمات العذاب	٤٣

الجزء الثالث – القسم الأول

إضاءات من مسيرة يوسف عليه السلام	٤٧
إضاءة من رؤيا يوسف عليه السلام	٤٩
إضاءة من فاتحة سورة يوسف	٥٩
إضاءة من قصة ابني آدم وإخوة يوسف عليه السلام	٦٨
إضاءة من الجب	٧١
إضاءة من الابتلاء الواقع في الطريق إلى الله	٧٣
إضاءة من السجن	٧٤
إضاءة من رؤيا ملك مصر	٧٩
إضاءة من نبوة يوسف عليه السلام	٨١

الجزء الثالث – القسم الثاني

إضاءة السجن لماذا ؟	٨٥
إضاءة	٩٠
إضاءة	٩٨
إضاءة	١٠٣
إضاءة	١٠٨
إضاءة من علم يعقوب	١١١
إضاءة	١١٣
إضاءة دعوة يوسف في مصر لماذا ؟	١١٥
إضاءة من قميص يوسف	١٢٠
إضاءة قصة يوسف عبرة في زمن الظهور المقدس	١٢٤
فهارس الكتاب	١٢٩

والحمد لله رب العالمين